9 me Année No. 427

Lundi - 8 - 9 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٢٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

## الفهـــــــرس



# السـيف والـكتب

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاء فى نبأ برق من نيويورك أن الجماعة البريطانية المؤلفة للترفيه عن الجنود أعلنت أن ستين ألف كتاب ومجلة تجتاز الآن طريقها إلى الجيش الإمبراطورى فى الشرق الأوسط ؛ وهى أول ثمرة من ثمرات الدعوة التى بدئت فى الولايات المتحدة قبل ذلك بأسبوع واحد لجمع مائتين وخمسين ألفاً من الكتب والمجلات لرجال الجنرال « أوفنلك » بمصر وجاراتها

وهذا فى الولايات المتحدة

وهناك جماعات أخرى مبثوثة فى أنحاء العالم — وبعضها فى القاهرة والإسكندرية — تجمع الكتب بالألوف ومئات الألوف للترفيه عن المقاتلين أو المتحفزين للقتال

وهذه كتب ترسل إلى الجنود بغير ثمن ، ولكن الجنود أنفسهم يشترون الكتب والمجلات حيث وجدوها بأثمان مضاعفة تربى على أثمانها المكتوبة عليها ، ولا يكتفون بما يصل إليهم من طريق التبرع والمساعدة

ومن راقب المكتبات التى تبيع الكتب الأجنبية فى العواصم المصرية عرف أن حركة البيع فيها مقرونة بحركة الجنود فى نواحيها ، فلا يكثر الجنود فى عاصمة إلا كثر فيها بيع الكتب والمطبوعات على اختلاف موضوعاتها

وليست هذه الكتب والمطبوعات جميعها قصصاً أو من قبيل القصص كما يتبادر إلى الخاطر لأول وهلة ؛ فإن الموضوعات القصصية تغلب عليها ، إلا أنها تقترن بموضوعات شتى لها نصيب من إقبال الجنود غير مبخوس ، ومن هذه الموضوعات الرحلات والملاحظات الحربية ، والكلام على مستقبل العالم الاجتماعي والسياسي بعد الحرب الحاضرة ، ومنها الدراسات الأدبية والفلسفية للقدماء والمحدثين من المؤلفين !

واتفق كثيراً أن المكتبات التي تعرف ما عندي من الكتب التي انقطع ورودها كانت تسألني عما أستغنى عنه منها ، لأنها تطلب من تلك المكتبات ولا تستطيع جلبها من الخارج في أيام معدودات ، وكنت أسأل أصحاب المكتبات أحياناً عمن يطلبونها فيدهشني أن أسمع أنهم في بعض الأحايين من طبقة الجنود الصغار وهم مع ذلك حريصون على استطلاع أحوال البلاد وتواريخها ، أو أحوال العالم وقضاياه ومشكلاته ، كأنهم سيديرون أمر تلك القضايا والمشكلات ، أو سيصنفون فيها الكتب والمقالات .

ولا شيء من هذا وذاك يشغلهم في الحقيقة وإنما هو العقل المتفتح لما حوله لا يستطيع أن يحتجب عنه أو يحجبه عن الوصول إليه ، ولو كان في ميدان قتال !

نعم ولو كان في ميدان قتال !

وينبغي أن نذكر هذا الاستدراك وأن نعيد ذكره ولا ننساه ، فإن الجندي في ميدان القتال إما مشغول بحركة العمل الحربي ، أو بحركة الرياضة والمرانة والاستعداد ، أو هو إن فرغ من هذه وتلك منصرف إلى اللهو والتزود من متعة الحياة ؛ فليس في وقته متسع للقراءة كائناً ما كان موضوعها من السهولة والتشويق ، وأحرى ألا يبلغ من اتساع وقته لها أن يحتاج الجيش كله إلى كتب ومجلات تعد بمئات الألوف

ولكن الحاصل هو هذا!

الحاصل أن الجنود المقاتلين أو المتأهبين للقتال يقرأون ويدرسون ، ويشترون الكتب ولا يقنعون بمئات الألوف التي يتبرع لهم بها المتبرعون

وينبغي أن نعيد هنا توكيد ميدان القتال والقراءة على أهبة من دخول الميدان

فإن طوائف من الشبان المصريين — والشرقيين عامة — كنت إذا اتهم في الإعراض عن القراءة والمعرفة قالوا لك إن العصر عصر رياضة ولعب وركوب ومسابقات ، وليس بعصر قعود ودراسة وقبوع في المكتبات ! فهم يعتذرون من خمود الذهن بما ينتحلونه من نشاط الجسد ... وليس من النشاط أن يصاب الذهن الإنساني بالخمود ولو صحبته ألوف من الأذرع والسيقان لا ينقطع لها حراك

فهذه الطوائف من الشبان خليقة أن تعلم أية رياضة هي رياضة الجندي على أهبة القتال . فهو في رياضة لا انتهاء لها في صباح ولا مساء ، بل في رياضة تبلغ من العنف أن تستنفد جهود الأعضاء والأفهام

ومع هذا هم يطلعون ويستطلعون ، وتظفر منهم المطالعة والاستطلاع بحصة من الوقت لا تظفران بعشر معشارها من أوقات شباننا في إبان البطالة والسلام

قال لي أديب يحب أن يتحذلق بالغريب من الآراء : أترى أن القراءة شاغل من شواغل الطبيعة ؟ أليست هذه الكتب وهذه الأوراق بدعة من بدع الصناعة التي لا أساس لها في تكوين البنية ، ولا حرج إذن على الشاب « المطبوع » أن يصدف عنها بفطرته وينصرف إلى ما تصرفه إليه طبيعة التكوين ؟

وأديبنا هذا يحسب الكتب أوراقاً وحروفاً من صنع الحداد وابتداع المخترع الحديث ؟

ولهذا هي عنده متاع « مصنوع » وليست بالمتاع المطبوع الذي له في البنية أساس كأساس الجوع والظمأ وسائر الشهوات

أما معاني الكتب وما تبعثه من شعور فلا تدخل له في حساب . ومعاني الكتب مع هذا شيء حيوي عضوي يمتزج بالتكوين الإنساني كما يمتزج به الغذاء واللهو والرياضة ، لأنها من وظائف الوعي الذي هو خلاصة الشعور والإدراك . وهل للحياة الإنسانية بغير « الوعي » وجود ؟ وهل لوجودها بغيره قيمة ؟ وهل تختلف قيمة الإنسان الذي ينحصر وعيه في المطالب الحيوانية من قيمة الحيوان ؟

فالقراءة ليست هي الورق المصنوع من الخرق والعيدان ، وليست هي الحروف المسبوكة من المدن ، وليست هي المطبعة التي تدار بالبخار والكهرباء ، وتدخل من أجل ذلك في عداد البدع والمستحدثات

كلا ؛ بل القراءة هى اتساع الواعية بما يضاف إليها من التجارب والأحاسيس والمعارف والمعقولات ، وهى امتداد الحياة إلى آفاق لم يكن يبلغها الفرد فى عمره القصير ، وهى بديل من السياحة ، ومن البحث عن المجهول ، ومن الإصغاء إلى النوادر والحكايات ، ومن تحصيل التجارب التى يتحدث بها المجربون ومن كل تشوف مطبوع فى أساس التكوين ، لأنه امتداد لحواس النظر والسمع والإدراك على تعدد وسائله وأدواته .

وليس يصح قول القائلين إن الكتاب لذة مصنوعة لأنه يطبع بالبخار والكهرباء إلا إذا صح أن يقال إن الرغيف لذة مصنوعة لأن البخار والكهرباء مما يصنع عليه الخبز فى العصر الحديث

فالوعى هو الحاسة الكبرى التى تطلب القراءة

والوعى هو الحياة فى أصدق معانيها وفى أوسعها وأرفعها على السواء

وهنا مناط الامتياز والتفرقة بين أجناس بنى آدم ، فأيهم كان أكثر وعياً فهو أكثر استطلاعاً بمختلف الأساليب ، والقراءة أعم هذه الأساليب

***

ويبدو لنا على نحو يشبه اليقين أن الفرق بين الآدميين فى مسألة « الوعى » كالفرق بين سلالة وسلالة أو عنصر وعنصر من عناصر الأحياء . ونعنى أنه فرق لا يفسره اختلاف البيئة واختلاف التعليم واختلاف المصادفات العارضة ، لأنه أعمق من ذلك وأعرق وأشد إيغالاً فى الطبائع على مثال لا نراه إلا فى اختلاف وظائف الأعضاء

ويجب أن يكون هذا الفرق قد تجمع فى أجيال بعد أجيال ، وفى موروثات بعد موروثات ، حتى أصبح وشيكاً أن يفصل بين الآدمى والآدمى كما ينفصل الحيوانان المتباينان . ومناط ذلك فيما نعتقد الأعصاب ثم الخلايا التى يتألف منها نسيج الأجسام ، لأن الأعصاب والخلايا هى أجزاء الجسم التى تتسع لتخزين الملكات والطبائع فى المصور بعد المصور ، والسلالات وراء السلالات . فما أبعد الفارق بين إنسان تملأه المطالب التى تملأ الحيوان الأعجم حتى لا تبقى فيه بقية للمزيد ، وبين إنسان يستوعب الأحاسيس والأفكار ، ويستكنه المجهولات والأسرار ، ولا يزال بعد ذلك كأنه فى حاجة إلى أكوان وراء هذا الكون تملأ ما فى نفسه من آفاق لا تمتلىء ولا تزال مشرئبة متشوقة إلى المزيد

هنا نفهم معنى الشوق إلى المعرفة ومنه الشوق إلى المطالعة ، فإنه على هذا التفسير وظيفة حيوية فى أصل البنية وليس بالبدعة الحديثة التى ظهرت بظهور الورق والمداد أو بظهور المطبعة والكهرباء

وهنا نعرف لماذا تضيق حياة الفرد فى بعض الأمم حتى يوسعها بالفرجة والاستطلاع والرياضة واستيعاب الأخبار ومشاهدة الآثار والأقطار ، ثم يكتفى الفرد فى أمم أخرى بما يشغل الحيوان فلا يتعداه باختياره إلى أمد بعيد . وغاية ما نرجوه ألا يكون بين أمم الشرق وأمم الحضارة الحاضرة فارق كالذى نحسبه فيصلاً متغلغلاً فى أصول التكوين . فكل ما عدا ذلك فهو قابل للاصلاح والعلاج

إذ الحقيقة أن القراءة لم تزل عندنا سخرة يساق إليها الأكثرون طلباً لوظيفة أو منفعة ، ولم تزل عند أمم الحضارة الحاضرة حركة نفسية كحركة العضو الذى لا يطيق الجمود . وربما تغيرت موضوعات الكتب وأثمانها وأساليب تداولها عندهم فى الفترة بعد الفترة وفى العهد بعد العهد وفاقاً لتغير الأحوال . أما أن تنقطع الكتب أو ينقطع الاطلاع فذلك عندهم أقرب شىء إلى المستحيل . ولو شئنا لأحصينا هنا عشرات الموضوعات التى أثارتها الحرب ونشطت لها أقلام الكتاب فى زمن يخاله بعضنا صارفاً عن كل كتابة وكل قراءة ، ولكننا فى غنى بالمشاهدة عن الإحصاء .

عباس محمود العقاد

# رسالة القلم البليغ

## للدكتور زكي مبارك

في ظهر يوم الجمعة الأسبق دعاني أحد الصحفيين تليفونيًّا إلى الإجابة عن أسئلة متصلة بمهمة الكاتب في المجتمع، وقد أجبت بصراحة لا تحتمل التأويل، ودعوت ذلك الصحفي إلى مراعاة الأمانة فيما ينقل عني، فقد طال بلائي بتحريف آرائي، ثم راعني أن أرى كلماتي مثبتة بدون تغيير ولا تبديل، كأن ذلك الصحفيّ كان يدوّن ما يسمع بالحرف. وإنما نصصت على هذه الأمانة في النقل لأحكم على ما نُشر باسم الأستاذ عباس العقاد؛ واسم الأستاذ أحمد أمين في هذا الموضوع بالذات، فليس من المعقول أن يحرص ذلك الصحفي على مراعاة الأمانة فيما ينقل عني ثم يمضي فيتزيّد على هذين الباحثين الكبيرين بلا موجب معقول

وعلى هذا يكون عندنا ثلاثة آراء صريحة في تحديد «مهمة الكاتب في المجتمع»، فما هي تلك الآراء؟

يرى الأستاذ عباس العقاد[1] أنه لا يمكن فصل المهمة الثقافية عن المهمة الاجتماعية، لأن الثقافة تمهد لأن ينظر الناس للحياة نظرة عالية، والنفوس التي تنظر للحياة نظرة عالية هي النفوس التي تستحق الحياة. ويرى أن يكون الأدب للأدب فلا يكتب الكاتب غير ما يوحى به الطبع، وهو يُعنَى بالحقائق الخالدة. أما المشكلات التي تتعلق بالطبقات المختلفة، فهي مشكلات وقتية يناط تدبيرها بالرجال الإداريين

ويرى زكي مبارك أن للكاتب غاية واحدة هي الصدق، وليست القصة أو المقالة إلا من وسائل التعبير عن ذلك الصدق. ويرى أن الكاتب ليس أجيراً للوطن ولا للمجتمع، وهو مطلق الحرية في جميع الشؤون. ويرى أن التعبير عن آلام المجتمع وآماله لا يكون أدباً إلا إذا صدر عن الكاتب، فإن اهتم بالمجتمع طاعةً للمجتمع فليس بكاتب. ويرى أن الصرخة الأدبية لا تكون وحياً إلا إن صدرت عنه بحرارة وإيمان، فهو يحارب حين يشاء، ويسالم حين يريد، ومن حقه أن يتحدث عن الشعر والحب، لأن ذلك يصور إحساسه بالوجود... ويختم زكي مبارك كلامه بأن الأدب أنواع: أدبٌ محليّ يصوّر البيئة، وأدبٌ وقتيٌّ يصور العصر، وأدبٌ خالد لجميع الأزمان

أما الأستاذ أحمد أمين، فيصرّح بأن الرأي الذي يقول بأن يكون الأدب للأدب هو رأيٌ سخيف، وهو لهذا يشغل نفسه بالكلام عن الفقر والمرض والجهل

تلك هي الآراء الثلاثة، كما نقلتْها عن أصحابها مجلة المزعة في العدد ٧٩

فما محصول هذه الآراء؟ وكيف اختلف أو ائتلف هؤلاء الكاتبون؟

يرى الأستاذ عباس العقاد أن يكون الأدب للأدب، ويرى الأستاذ أحمد أمين أن القول بأن يكون الأدب للأدب هو رأيٌ سخيف. (ومن الواضح أن الأستاذ أحمد أمين لا يوجه الكلام إلى الأستاذ عباس العقاد، لأنه أجاب إجابة موضوعية بدون أن يخطر في باله أنه يعارض هذا الكاتب أو ذاك)

ويرى زكي مبارك أن غاية الأدب هي الصدق، ولو سار الكاتب وحده في جانب، وسار المجتمع كله في جانب، فهو يحاسَب أمام ضميره لا أمام المجتمع، وهو أعزّ من أن يكون صدًى لأي صوت، لأنه يرى أن صوته هو صوت الوطن، وأن الوطن حين ينطق بصوتٍ غير صوته لا يكون إلا حاكياً لأقوال محرومة من روح اليقين

أما بعد، فهذه مشكلة من أصعب المشكلات، وللأستاذ عباس العقاد أن يوضح رأيه كما يشاء، وللأستاذ أحمد أمين أن يُصرّ على قوله كما يريد. أما أنا، فأسارع إلى تحديد غايتي الأدبية بلا تسويف، ليعرف قومٌ كيف أعادِي وأصادِق في الحدود التي ترسمها «رسالة القلم البليغ»

وإنما يهمني أن أسارع إلى تحديد غايتي الأدبية، لأني أحب أن يعرف قرائي وجه الرأي فيما أذهب إليه من الدعوة إلى حرية القلم بلا قيد ولا شرط، إلا أن يدعو العقل إلى التلطف والترفق فلا نواجه الناس بما لم يألفوه في بعض الميادين العقلية والروحية والذوقية والاجتماعية

---

(١) العبارات الآتية ملخصة من الأجوبة المنشورة في مجلة «المزعة» بالعدد ٧٩

وما يجوز لك – أيها الكاتب – أن تجادل قومك إلا حين تؤمن في سريرة نفسك بأنك رجلٌ له وجودٌ خاصٌ ، وبأن عندك معانيَ لا تجدها عند أحد من أهل زمانك ، وحينئذ تصارح مواطنيك بما يجيش في صدرك ، على أن تكون أنت أنت في كفرك وإيمانك ، وضلالك وهُداك ، فلا تقول ما يحب الناس أن يقال ، ولا تكتم ما يكره الناس أن يباح

وأعيذك أن تفهم أني أوصيك باللجاجة والعناد ، وأني أدعوك إلى مخالفة قومك في جميع ما يحبون وما يكرهون ... فما إلى هذا قصدت . ولا يسرني أن تكون أداة انزعاج وانشقاق ، وإنما أوصيك بالصدق في جميع الأحوال ، فإن اتفق رأيك مع رأي قومك فسرْ معهم باطمئنان ، لأن التوافق الإجماعي له دلالة معنوية لا يستهين بها العقلاء ، وهو يزيدك قوة إلى قوة ، ويُمدُّك بالعصبية الفكرية ، وهي عصبية لا توجد أسبابها إلا في أندر الأحايين ، وتَلاقِي المفكر الصادق مع قومه فرصةٌ من فرص التوفيق ... وبالله نستعيذ من الخذلان !

وإن رأيت أن الحق في جانبك أنت ، وأن قومك مخطئون ، فتذكَّر أنك لهذا المقام خُلقت ، وأن الجبن هو الآفة التي لا يَسلم من شرها غير الموهوبين ، وأن الشجاعة هي أعظم مناقب الأحرار من الكُتّاب

وهنا دقيقة قد تخفى عليك وعلى مَن قلَّ حظهم من التجاريب ، وهي الوهم الذي يقول بوجوب النضال في جميع ضروب الخلاف . فاحترس من هذا الوهم كل الاحتراس ، واعلم بأنه لا يجوز لك أن تجاهر بمخالفة قومك إلا في الشؤون التي يكون فيها سكوتك إثماً تحاسب عليه أمام الذي جعل سواد المداد أشدَّ إشراقاً من بياض الصباح

إن قومك يختلفون في كل يوم — والاختلاف من أظهر الخصائص الإنسانية — فلا تناضلهم في كل خلاف ، والتزم الحياد في أكثر أوقاتك ، إلى أن تحين الفرصة التي توجب الجهر بكلمة الحق ، ولو تعرَّضتَ لأفظع المكاره والخطوب

واعلم أنك سَتُبتَلَى بأقوام يرون غير ما تراه في أكثر الشؤون ، وقد يدعونك إلى الترحيب بأن تكون أسيرَ زمنك ، وأجير وطنك ، بحيث لا تنطق بغير ما يستسيغ زمانك وبلادك .

وهنا يكون الخوف عليك ، وقد تهوِي إلى أحط دركات الإسفاف ، فما ذل شاعر ولا كاتب ولا خطيب إلا بسبب الخضوع لما قد يريد أبناء الوطن وأبناء الزمان ، بلا تدبُّر ولا إدراك . وكيف تطيع أولئك في كل وقت وهم في بعض أحوالهم فقراء من الوجهة العقلية والروحية ، ولا يساير هواهم غير الضعفاء ؟

وما الغاية من وجودك إذا كنت صورة مكررة من وطنك وزمنك ؟

وبأي حق تحمل القلم إذا خضعت لما يُملي عليك العوام وأشباه الخواص ؟

وهل قلت الآراء المنخوبة حتى يضاف إليها رأي من صنفها المنخوب ؟

وما قيمتك وأنت تغني صوتاً ليس من تأليفك ولا تلحينك ؟

وما قوتك وقد صرت حاكياً لأقوال لم تصدر عن وحي ضميرك ؟

وما انتفاع الأمة بك وأنت صوت يسكبه العهد القديم في أذن العهد الحديث ؟

يجب حتماً أن تكون لك ذاتية جديدة ، ذاتية متفردة يجهلها الزمن الماضي ، ويهابها الزمن الحاضر . يجب حتماً أن يستقل وجودك في كل يوم عن حاضرك وماضيك ، فتطلُع مع الشمس بنور جديد ، وتواجه الليل بتأملات لم يشاهد مثلها مع قوم سواك . يجب حتماً أن تنظر في آرائك كما تنظر في أثوابك ، فالآراء تَبـلَى كما تَبـلَى الأثواب ؛ والذي يعيش على رأي واحد قد يكون أجهل من الذي يعيش بثوب واحد . فاحذر من العيش وأنت بالي الآراء ، كما يحذر مَن يلقى الناس وهو بالي الثياب

وقد يعيِّرك الغافلون بالتنقل من رأي إلى رأي ، مع أنهم لا يعيِّرون مَن يلبس ثوباً بعد ثوب ، وإنما كان ذلك لأنهم يجهلون أن الآراء من صور الحيوية ، ولأنهم يتوهمون أن الثبات على الرأي الواحد من شواهد اليقين . ولو عقلوا لأدركوا أن العين التي تنظر بأسلوب واحد هي عينٌ بليدة لا تدرك الفروق بين دقائق المرئيات ، وكذلك يكون العقل البليد وهو الذي لا يدرك الفروق بين المعنويات والمعقولات ، ولها وجوه تعد بالألوف وألوف الألوف

فهل تعقل هذا الكلام ، وأنت تحاول الاضطلاع بحمل رسالة القلم البليغ ؟

وهنا أيضاً مجال للخوف عليك ، فقد يقع فى وهمك أن المفكر الحق هو الذى يسرع فى التنقل من رأى إلى رأى . هيهات ثم هيهات ! فالرجل لا يغيّر رأيه إلا بقدر ما يتحول الجبل من وضع إلى وضع . وما كان ذلك إلا لأن الأصل فى الرأى أن يكون عقيدة فكرية أو روحية ، والعقائد لا تتغيّر بالسهولة التى تتغير بها الثياب . وإذن يجب أن لا تتحول من رأى إلى رأى إلا وقد تحولتَ من حياة إلى حياة ؛ وهذا قد يقع من لحظة إلى لحظة ، وقد لا يقع إلا بعد أعوام طوال وفقاً لاستعدادك فى تلقى وحى الوجود

والمهم أن تكون أنت أنت فى تحولك وقرارك ، فلا تكون أداة للتعبير عن أوهام زمانك وبلادك ، ولا تكون ظلاً لعظيم من العظماء ، أو حزب من الأحزاب ، إلا إن بدا لك أن تصير من طلاب المغانم ، وهو مصير لا يعاب ، وإن كان زحزحك عن فردوس البيان ، فما قال قوم بأن الأدب للأدب ، أو الفن للفن L'art pour l'art إلا وهم يرجون أن تكون لنا دولة لا يتطاول إليها أصحاب المناصب والألقاب

فمن أنت أيها الكاتب وماذا تريد ؟

لن يصح انتسابك إلينا إلا يوم تؤمن بأن للقلم رسالة يطيب فى سبيلها الاستشهاد . ونحن قد رحبنا بجميع الآلام فى سبيل القلم البليغ . ولو رأيت كيف تقدّم تلاميذنا وتخلفنا فى الميادين الرسمية لعرفت أننا دفعنا ثمن الاعتزاز بدولة البيان

قد ينُوشك أقوام لا يعرفون كيف توحّدتَ توحُّد الليث ؛ وقد يسخر منك أقوام يرون الزهد فى التودد إلى المقامات العالية ضرباً من الجنون ؛ وقد يوافيك أجلك وليس فى جيبك ما يشيعك به أهلك إلى مثواك الأخير ، فما رأيك فيمن يدعوك إلى الاعتصام بالوحدانية الأدبية لتلاقى الله وأنت رجل لم يعرف الخضوع لصاحب العزة والجبروت إلا تأدباً مع ذاته العالية ؟

هل تعرف لأى سبب لا ينبغ من أرباب القلم غير آحاد ، ولو كانوا فى أمة تبلغ المئات من الملايين ؟

إنما كان ذلك لأن رسالة القلم تشبه الأمانة التى تهيبت حملها السموات والجبال

وهل تعرف لأىّ سبب فتَر شوق المصريين والشرقيين إلى مسايرة الأقلام العربية ، على نحو ما كانوا قبل أعوام قصار أو طوال ؟

إنما كان ذلك لأن المفكرين صاروا أصحاب منافع ومطامع ، فهم يتوددون إلى طبقات المجتمع ليحكموها باسم الغيرة المصطنعة على آمالها الضوائع . ومن هنا قلّ فى هذا العصر من يخاطر بمواجهة تلك الطبقات بالرأى الحق ، لأن ذلك يُقصيه عما يتسامى إليه من المناصب ، ويصوره بصورة من يعادى المجتمع ، المجتمع الذى أسرف فى تدليله من زُيّنت لهم الدنيا أن يتسلحوا بسلاح الرياء الاجتماعى ، وهم قومٌ لا تصح نسبتهم إلى المصلحين إلا مع التسامح البغيض

أين فى زمانك من خاطر بمركزه فى المجتمع ، كما خاطَر قاسم أمين ؟

وأين فى بلادك من رحّب بتهمة الكفر فى سبيل الإصلاح الدينى ، كما خاطر محمد عبده وعبد العزيز جاويش ؟

وأين جهود الكتاب المفكرين فى هذا الزمان ؟

لقد أصبح من الآفات المألوفة أن يتحكم الجمهور فى الكاتب كما يتحكم فى المغنّى . ومن العَجَب أن يتحرر المغنّى ولا يتحرر الكاتب . فالمغنى يضع أمام جمهوره لوحة كتب عليها « ممنوع طلب الأدوار » ؛ أما الكاتب فقد عجز عن القول بأنه صاحب الحق المطلق فيما يعالج من الشؤون

يجب أن يخرج الكاتب الأجير من الميدان ، الكاتب الذى رضى بأن يكون أجير الوطن أو أجير المجتمع ؛ فما يكون الرجل كاتباً إلا إذا شعر بأنه مؤيَّد بقوة روحانية تعصمه من أحلاف الزور والبهتان . وذلك هو الكاتب المنشود ؛ الكاتب الذى يرغم الدهر على الاعتراف بأنه طاف على أهل زمانه بكأس لم يذوقوها من قبل ، ولم يعرفوا فى أى كرمة نَبَغ رحيقها النفيس ! !

فمن هؤلاء الذين يحملون الأقلام وليسوا لها بأهل ، لأنهم عبيد تلاميذهم من القراء ، ولأنهم يتوهمون أن القلم وسيلة من وسائل النفع الرخيص ؟ مَن هؤلاء ؟ مَن هؤلاء ؟ !

لن تكون كاتباً إلا يوم يستطيع قلمُك أن يصنع بقارئك ما يصنع الدواء بالمريض ، والدواء قد يزلزل الجسد فيمثّل له شبح الموت ، ثم تكون العافية ، وكذلك يصنع القلم الصادق ،

فهو يزلزل الفكر والعقل والروح ، ثم تكون العافية الفكرية والعقلية والروحية لمن يصلحون للبقاء ، ولا بقاء لغير من يستمعون صوت الصراحة والصدق والإخلاص

دنيا هذا العصر هي التي أضاعت الكاتب الصادق ؟ !

وقد دار رأسي منذ سنين حين سألت أحد كتّاب باريس عن الهوّة التي تفصل بين كتّاب فرنسا المحدَثين وكتّابها القدماء من الوجهة الروحية فأجاب وهو محزون :

L'honnêteté n'est plus à la mode !!

وما أشدّ جزعي لما صرنا إليه ! فالشرف لا يُعوزنا ، ولكن الشجاعة هي التي تعوزنا ، فنحن بالفطرة شرفاء ، وإنما نحتاج إلى قوة من الحزم والشراسة والإباء . وأقول بصراحة إن الأدب في مصر على شفا الهاوية ، لأن الأدباء يستوحون قراءهم ، وتلك علامة الغثاثة والهزال ، ومثَلهم في ذلك مثل الطبيب الذي يستشير المريض في وصف الدواء ! !

قد تُقبل هذه الحال من الكتّاب الذين يشتغلون بتسلية الجماهير ليأخذوا أموالهم كما يأخذها « الحاوى » في ساحات « الموالد » . فما عذر الكتاب الذين أعدّتهم مواهبهم ليكونوا هداةً صادقين ؟

« الرأي القائل بأن يكون الأدب للأدب هو رأي سخيف » كذلك قال الأستاذ أحمد أمين ، حفظه الله ! ومعنى كلامه أن يصبح الأدب في خدمة المجتمع ؛ وهو كلام معقول ، ولكني كنت أنتظر أن تكون للأدب قوة السيطرة على المجتمع ، لا حُسن الطاعة في خدمة المجتمع ، فالمجتمع مريض ونحن الأطباء ، ولو كره الخوارج على سلطان القلم البليغ

يستطيع الأستاذ أحمد أمين أن يستوحي قراءة سبعين سنة أو ثمانين أو تسعين ، ثم يلقاني بعد ذلك ، إن عشت وعاش ، فلن يكون محصوله الفكريّ والأدبيّ غير أوشاب جمعها من أوهام القراء

أيكون الأستاذ أحمد أمين فهم أن « الأدب للأدب » معناه أن يكون جهد الأديب مقصوراً على وصف الأزهار والرياحين ، والأقمار والشموس ؟

إن كان ذلك ما فهم فأين صرخة العقل المقدود من ضمير الوجود ؟

وأين الأقباس الروحية التي نستعين بها على كشف المجاهيل من سرائر القلوب والعقول ؟

الكاتب يُعنَى بجميع الشؤون : فيتحدث عن الغنى والفقر والصحة والمرض والعلم والجهل ، على أن يكون انفعل بهذه المعاني ، بحيث تصير من الغايات التي تشغل روحه الموهوب ، وبحيث يكون الاهتمام بالمجتمع غرضاً من أغراضه الصحاح

أما القول بأن يكون قلم الكاتب أجيراً للمطالب الوطنية والاجتماعية فهو قولٌ مردود ، ونحن أول من يرفع راية العصيان ، فلن نخدم الوطن إلا طائعين ، ولن نعترف للوطن بأي حق إلا إذا اعترف بأننا أصدق أبنائه الأوفياء

وماذا بقي لمصر الفرعونية والإسلامية بعد المسطور من آثار القلم البليغ ؟

وبأي حق صار لمصر سلطانٌ أدبيٌّ في الشرق لهذا العهد ؟

تلك جهود أقلامنا وأقلام أسلافنا . فمن خضع لصوت الحق واعترف بأن ما بذلناه لخدمة مصر والشرق كان عملاً تُنصَب له الموازين فهو رجلٌ صادق الإيمان ، ومن جهل حقنا فهو صائرٌ لا محالة إلى القرار في هُوّة العقوق

الأدب للأدب ، كما يقول عباس العقاد

والفن للفن ، كما قال بعض أقطاب الفرنسيس

والأدب هو الصدق ، كما قال الرجل الذي تعرفون

فمتى تعترف الدولة الرسمية بالدولة الأدبية ؟

البقاء للحق . البقاء لبياض القرطاس وسواد المداد ، ولن يتخلى الله عمن يرى الصدق في الحب والبغض هو الغاية من شرف الوجود .

زكي مبارك

# ماكس إشترنر

MAX. STIRNER

## فيلسوف الأنانية

## ١٨٠٦ — ١٨٥٦ م

للدكتور جواد علي

ولم لا تكون للأنانية فلسفة وفلاسفة ، والأنانية من أهم الغرائز التي لعبت دوراً هاماً في الحياة البشرية ؟ لعبت دورها في حياة الأفراد كما لعبت دورها في حياة الأمم . وليس بمعجيب إن أصبحت « الأنانية » موضوعاً هاماً من موضوعات الفلسفة ، وهدفاً أو مثلاً أعلى لبعض المذاهب الفلسفية ، بل محور فلسفتها تدور حولها جميع أبحاثها كالذي يلاحظ عند « الأبيقوريين »(١) أو عند كثير من فلاسفة القرن الثامن عشر وبعض فلاسفة الإنكليز أمثال فرنسيس هيتجسون ( Francis Hutscheson ١٦٩٤ — ١٧٤٦ )(٢) ، وجرميا بنثام ( Jeremy Bentham ١٧٤٨ — ١٨٣٢ )(٣) ، وجون ستيوارت ميل John Stuart Mill ( ١٨٠٦ — ١٨٧٣ )(٤) وغيرهم

غير أن كاسبر شميد ، أو ماكس اشترنر كما كان يلقبه إخوانه التلاميذ في المدرسة لعلو جبهته واتساعها ، كان قد جاوز حدود هيام هؤلاء بالأنانية وتفانيهم فيها وضرب رقمهم القياسي بأضعاف . أعلن للناس أنه صب بالأنانية مغرم ، وأنه جاء إليهم برسالة

(١) أتباع الفيلسوف اليوناني إبيقور Epikur ( ٣٤١ — ٢٧٠ ق.م ) أحسن من كتب من مذهبه وأتباعه Russwurm والفيلسوف Kreisbig و H. Schmidt

(٢) فيلسوف إنكليزي راجع عنه Wilhelm Dibelius في كتابه England جـ ١ ص ١٦٦

(٣) نفس المصدر وكذلك Oskar Kraus في كتابه المطبوع عام ١٩٢٦ و H. Schmidt ص ٧٠

(٤) نفس المصادر مضافاً إلى ذلك Sänger لسنة ١٩٢١ و Langel في تاريخ الفلسفة المادية جزئين لسنة ١٩٢٦

جديدة وديانة جديدة : هي ديانة الأنانية ومحبة الذات ... ديانة قوية فوق كل الديانات . إنها السعادة الأبدية للجماعات والأفراد ؛ وإنها مفتاح اللذة ؛ وإنها الطريقة المثلى للوصول إلى الكمال الإنساني وما يتمناه كل فرد من هذه الحياة . هي طلسم السعادة والكبريت الأحمر الذي أفنى الحكماء أنفسهم عبثاً للوصول إليه ، وكيمياء الحياة

مفتاح هذا العالم في نظرية ماكس إشترنر كلمة «أنا» ؛ ولكن كلمة « أنا » هذه لا تدل على معنى مجرد ، بل على شخصية معينة ؛ بواسطة هذه الشخصية عرف الكون والوجود . كل ما في الكون هو «أنا» وما عداي وهم وخيال . أنا خلقت الأسماء ، وأنا خلقت المصطلحات ، وأنا الذي وضعت تلك التعابير التي لا وجود لها في الحقيقة . وأنا الذي سجنت نفسي بيدي . خلقت تلك المعايير الأخلاقية والمقاييس الأدبية فقلت : شرف ووطنية وإنسانية وديانة وأخلاق وفضيلة إلى آخر ما هنالك من كلمات جوفاء(١)

قيدت البشرية نفسها منذ خلق العالم بقيود فرضتها عليها جماعة من الأنانيين الأقوياء الذين مثلوا دور « أنا » خير تمثيل ... استغلوا عقول السذج البلهاء ، والسواد الأعظم من البلهاء ، فحللوا وحرموا ووضعوا القيود الأدبية والحواجز الأخلاقية والاجتماعية . أطاعتها المجتمعات الإنسانية حتى اليوم ، وأدخلت نفسها طوعاً واختياراً أو خوفاً ورهبة في عداد العبيد وطبقات الأرقاء . صارت تقاد كما يقاد قطيع الغنم أو البقر إلى المجازر باسم الوطن والشرف والدفاع عن العرض أو العقيدة والمال ، إلى غير ذلك من الكلمات التي «فبركتها» معامل أولئك الأنانيين ، وأنتجتها أفواه أولئك الحكام الجبابرة العتاة . وما التاريخ البشري سوى عبودية دائمة من هذا النوع(٢)

(١) يذهب الفيلسوف في الأسماء والكلمات مذهب « الاسميين » الذين يقولون بأن الأسماء لا وجود لها في الخارج Nomina Lismus أمثال : يوحنا دوسيلينوس ( ١٠٥٠ — ١١٢٠ م ) وأنسلم الكانتربري ( من ١٠٣٣ — ١١٠٩ م ) راجع قاموس الفلسفة لشميد ص ٤٥٠٠ . وقصة الفلسفة الحديثة جـ ١ ص ١٣ ، ١٤ . وكتاب الفيلسوف دريوس ص ٢٣ جـ ٧

(٢) انظر Diehl Die Somialismus Jena Sl 1911. S, 112

يقول : لو حللنا الأعمال البشرية بجميع أنواعها وألوانها تحليلاً علمياً لوجدنا « الأنانية » هي الدافع الأول في جميع حركات الإنسان . هي الأول، وهي كل شيء . هي الحقيقة الأولى، وهي الحقيقة الأخيرة . هي التي صورت لي العالم بهذه الصورة . وهي التي جعلت الإنسان يبني ويشيد ويشتغل . لو جردنا ما نسميه في قاموسنا « العالم » من أنا ، أو الأنانية لما بقي شيء من هذا الذي سميناه عالماً . ولذلك فالحقيقة واحدة وهي حقيقة « أنا » . تدرك هذه الحقيقة ما يحيط بها بواسطة منبعين : منبع الإدراك أو التصور Vorstellung ومنبع الإرادة Wille(1)

فما دام الأفراد الأنانيون هم الذين وضعوا تلك القيود في سبيل منافعهم الشخصية ومآربهم الذاتية ؛ وما دامت الأنانية هي الغالبة على كل عمل إنساني ، فلم يستمر الفرد على تحمل تلك العبودية ؟ ولم يذعن لتلك القيود التي قيد بها جبراً ؟ ساقت هذه النتيجة المنطقية إشترنر إلى البحث عن الحرية : حرية الأفراد ، وما يملكه الفرد ، فوضع كتاباً في هذا المعنى سماه « الفرد وما يملك »(2) تهجم فيه تهجماً شديداً على القيود الأخلاقية والاجتماعية والدينية التي تحكمت وظلت تتحكم في عصره ، وشن حرباً شعواء مقدسة على المبادئ الدولية وعلى كل شيء عام يطلق عليه وصف بشرى ، وعلى الحكومات التي انتزعت سلطة الأفراد ، وعلى الشيوعية التي ناوأت الملكية الفردية ، وهي أقدس حق من حقوق الإنسان . سخر من المجتمع ومن تكاليف المجتمع بعبارات لاذعة لم يعرف مثلها في أي كتاب من كتب العالم

كان الشاعر الأديب الإنكليزي « برنارد مندويل »(3) Bernard Mandeville صاحب كتاب « أسطورة النحل » The Fable of the Bees or Private Vices Made Public Benefits (نشر لأول مرة في عام ١٧١٤ م) ، قد صرح في كتابه بلا خوف ولا وجل بأن « الأنانية » هي الدافع الوحيد للانسان على أعماله الروحية والمادية ، وأن جميع القيود الأخلاقية أو الإنسانية أو الدينية لا قيمة لها أبداً ؛ لأنها من وضع الحكام الذين توخوا تأمين السيادة . غير أن كتاب ماكس إشترنر كان قد جاوز كتاب مندويل الإسكتلندي في التهكم والتهجم على أخلاق المجتمع وجميع الأنظمة البشرية القائمة بأضعاف !

كان كتاب « الفرد وما يملك » عنوان ثورة جديدة أراد أن يؤجج نارها ذلك الفيلسوف : ثورة الفرد على المجتمع ، ثورة الفرد على الحكومة . فشارك الديمقراطيين بالفكرة ، وكان في طليعة جماعة الاشتراكي اليهودي لاسال(1) ؛ إلا أنه اختلف عنهم بالأسلوب . نرى ماكس ديمقراطياً من رأسه إلى أخمص قدميه ، ولكنه ديمقراطي فردي يريد أن يشيد بناء ديمقراطياً على أساس السلطة الفردية . يريد أن يرى البشرية مجموعة أفراد، كل فرد من هذه المجموعة يتمتع بحريته ولذاته ، هو نهم لا يشارك الآخرين ولا يرضى بأن يشاركه أحد . غايته التمتع بالحياة إلى آخر حد ، وأن ينفرد بكل شيء ؛ لا يفكر إلا لنفسه ، ولا يبالي بما يفعل الآخرون . شعاره لا تهمني إلا نفسي(2)

كل سلطة تتحدى سلطة الفرد يجب أن تقاوم وتهدم . وحيث أن الحكومات تحاول دائماً التعدي على حريات الأفراد ومجال عمل الأفراد ، فهي سلطات استبدادية ودوائر تفرض الرق على البشرية فرضاً بواسطة صكوك وأوراق تحبرها تطلق

---

(1) انظر فندلبند Windelband Lehrbuch. s, 564 f ويظهر أن كاسبر شميد قد أخذ فكرته عن منبعى العلم الانساني من الفيلسوف الشهير شو بنهور فيلسوف التشاؤمين وهو صاحب كتاب Die welt als wille und vorstellung وقد نشر لأول مرة في عام ١٨١٩م

(2) Der Einzige und Sein Eigentum نشر لأول مرة في عام ١٨٤٠م

(3) طبيب إنكليزي وفيلسوف عاش بين ١٦٧٠ — ١٧٣٣ م . أثرت أفكاره على الموسوعيين الفرنسيين « الانسكلوبيديين » راجع عنه Prof. Voigt Die Somial Utopien s, 134 و Schmidt ص ٣٨٩

---

(1) Otto Ziegler Die Geistigen Berlin 1899 ص ٨٠ . وقد تزعم فرناند لاسال حركة العمال الألمان وكانت له مناظرات مع كارل ماركس مؤسس المذهب المنسوب إليه . ولد عام ١٨٢٥ وتوفى عام ١٨٦٤م .

(2) Ziegler s, 580 وكذلك Karl Diehl über Som. s. 113

عليها الصيغ الشرعية . لذلك تبرم الفيلسوف من الحكومات وعدّ نفسه من ألدّ أعدائها ، ولكنه كان من ألدّ أعداء النظام الشيوعى كذلك ؛ إذ بينما الشيوعية تحطم ملكية الفرد وتندد بالملكية الخاصة ، نرى (إشترنر) يندد بالملكية العامة ويدعو إلى الملكية الخاصة

يرى أنه ما دامت الأنانية هى الصفة الغالبة فى الطبيعة ، وما دامت حركات الإنسان وسكناته كلها حركات منبعها الأنانية ، فمن الحماقة التغاضى عن هذه السنة الطبيعية ، والاتجاه إلى الأحلام الذهبية الشعرية ؛ وقد دلت الأحوال على أن كل محاولة من هذا النوع كانت فاشلة ، وأنها ترتد دائماً إلى الأنانية الفردية .

ثم من ذا الذى يضمن للانسان عدالة أولئك الذين سيقومون بالإشراف على المجتمع العادل ؟ لذا ، فأنا وحدى صاحب الحق فى الملكية ، ولى الحق كل الحق فى الامتلاك ، وعلىّ أن أتفاهم مع الآخرين فى هذا الحق ، فإذا خالفونى على حق هذا التزمته ودافعت عنه بكل قواى لأجبر الآخرين على الاعتراف بهذا الحق ، ولكن الملكية مع ذلك غير مقدسة ، إذ لا قدسية فى العالم إلا للحق والسيطرة فقط[1]

وبدلاً من هذه الحكومات والتشكيلات الشيوعية ، يجب تشكيل جماعات من الأنانيين الأحرار الذين لا يرتبطون فيما بينهم بروابط أو حقوق طبيعية أو روحية كالتى يطلقها عليها اتباع النظريات الأخرى . يكوّن الأفراد جماعة لا تحاول امتلاك الأفراد ، بل يحاول الأفراد امتلاك الجماعة ، والرابطة الوحيدة التى تربط الفرد بهذه الجماعة هى رابطة « المنفعة » ، وعلى كل فرد أن يبذل كل ما فى وسعه لاستغلال الجماعة إلى آخر ما يمكن . فإن حاولت الجماعة استغلال الفرد ثار عليها . وهذا فى زعمه هو الفرق بين العبودية والحرية . ففى المجتمعات الديمقراطية أو الشيوعية تحاول الجماعة السيطرة على الفرد ، ولكنها فى مجتمع ماكس اشترنر يسيطر الفرد فى زعمه على الجماعة

لا قيود فى هذا المجتمع ولا فروض . لكل شخص عقيدته وديانته ، لا تهمه إلا نفسه ، ولا يشتغل إلا لنفسه فقط . فإذا تحققت هذه الأمنية على زعم فيلسوفنا تحققت الحرية وتحققت معها السعادة البشرية وتحقق كل شىء . أما الفكرة المالية أو البشرية أو الدولية فيسائل الفيلسوف نفسه عنها : ما الذى أربحه من الاعتقاد بهذه الآراء ؟ وما الذى استفيده منها ؟ ثم يجيب : لا بأس من أن أساير الناس وأن أوافقهم موافقة رجل حذر ، ولكن موافقة رجل حكيم أعدّ لكل شىء عدته ، يحاول جهد الإمكان الانتفاع من هؤلاء السذّج . فإن انعكست الآية نفر من تلك الجماعة ونبذ ذلك المجتمع الفاسد . والحرية هى تجريد النفس من كل القيود والحدود التى تعوق إرادة الفرد وتحاول منعه من استغلال أنانيته ولو أنها كلمة جوفاء فى حد ذاتها . وبهذا نكون قد أدركنا حقيقة الحرية . والجندى الشجاع مثلاً هو الذى يستطيع أن ينجو بنفسه من الحرب ؛ فلا يضحى بنفسه فى سبيل أطماع نفر من جزّارى البشرية إن ربحوا تقلدوا الأوسمة ودخلوا القصور الفخمة ، وإن خسروا انسحبوا إلى مملكة أخرى أو إلى القصور الهادئة وعاشوا عيشة السادة المترفين . فى حين أن الجندى المسكين بطل المعركة إن مات مات فقيراً تاركاً وراءه عائلة تبكى ، وإن عاش عاش فقيراً كذلك لا يهتم بشجاعته أحد

سخرت الأوساط الأدبية من آراء ماكس إشترنر ومن كتابه « الفرد وما يملك » وعلى الأخص الشيوعية منها ، فنشرت جريدة الراين « دانيشه تزايتنك » جريدة كارل ماركس نبى الشيوعية مقالات تهكمت فيها من نظرية اشترنر ؛ وانبرى أمثال كارل كرين Karl Crün وموذس هيس Moses Hess ، ونفر آخر من محررى الجريدة فنشروا رسالة بعنوان « آخر الفلاسفة » سخروا فيها من الفيلسوف ومن آرائه

(١) Die Gessel Schaft 1910 Ziecler s, 580

لم يفهم ألمان ذلك الزمن معنى لهذه « الأنانية » العلمية الجديدة ، ولم يدافع أحد من فلاسفة العصر عن آراء فيلسوف «الأنانية» ، ولم يتمكن محب الدنيا من استغلال الدنيا . لم تقبل الدنيا عليه رغم إقباله عليها . ظلت مدبرة عنه وهو مقبل عليها . توفيت زوجته الأولى « بنت الشارع » فى السنة الأولى من زواجه ، وطلقته زوجته الثانية « الحرة البوهيمية » لأنه حاول أن يتزوج مالها مكتفياً به عنها . ولم تنفعه شيئاً « جمعية أحرار الروح » التى ألفها مع بعض زملائه البوهيميين المفاليس فى حانة «هبل» إحدى حانات برلين . لأن الحياة البوهيمية تحتاج إلى مال، وهـذا ما لا قبل للفيلسوف به . ولم ينجح صاحبنا فى بيع « الحليب » وتوزيعه عند ما اضطرته الدنيا إلى العمل . فقد انهال عليه الحليب وقل الزبائن ، وذهب آخر فلس لديه . ولم تنجح آخر نظرية من نظرياته الفلسفية ، عند ما دخل طوعاً واختياراً فى عالم الديون والقروض ، ثم فى عالم الفشل والإجرام حيث قالت الحكومة : عدوته رقم واحد ، كلمها وأدخل السجن . وبذلك أثبتت عملياً أن فيلسوفنا لم يكن على حق فيما قال

لم ينعم « صاحب الجلالة » كما كان يلقب نفسه حتى بقليل من الاهتمام . نعم عده الفوضويون الأجانب نبيًّا من أنبيائهم المرسلين ، وحسبوا كتابه معجزة من معجزات الدماغ البشرى ؛ فكتبت فئة منهم عن نبيهم ، كما فعل الاسكتلندى جون هنرى مكى John Henry Mackay صاحب كتاب « سيرة ماكس اشترنر»[1] وكتاب «الفوضويون» . وكذلك الأمريكى توكر Josiah Tucker صاحب جريدة الحرية Liberty الأمريكية ، والفرنسى فكتور بشى Viktor Basch الأستاذ فى جامعات فرنسا

لم تنصف الدنيا فيلسوفنا الفقير ، ولم ينصف أهل الأرض ذلك الفيلسوف المتعجرف الذى كان يكتب الحرف الأول من كلمة « أنا » دائماً بالحرف الكبير ، دلالة على العجرفة والعظمة ؛ فعسى أن يكون نصيبه من الآخرة خيراً من نصيبه فى الدنيا .

« بغداد » مراد على

(1) Stirner Sein Leben und Sein Werk Berlin 1910

( الرسالة ) : ذكر الأستاذ الكاتب فى رسالة خاصة أنه أرسل إلينا مقالات لم تنشر ؛ والواقع أن كل ما وصلنا من مقالاته نشر فى حينه .

# طاغور الخـــالد

للأستاذ فخرى شهاب



طاغور عام ١٨٧٧
من كتابه « ذكرياتى »

[ولد رابندرانات طاغور سنة ١٨٦٠ بكلسكتا من أسرة عريقة فى المجد بنغالية. وفى هذه المدينة نشأ وفى جامعتها تخرج ، ثم ذهب إلى انكلترا وانتسب إلى جامعة اكسفورد وعكف على دراسة اللاتينية فيها ، غير أنه لم يلبث أن مل تلك الحياة وعاد إلى موطنه ، ســويداء الشرق. وفى ١٩١٣ منحه المجمع العلمى فى (استوكهولم) جائزة نوبل من ديوان شعره القلسفى (جيتانجالى). وقد بدأ طاغور حياته الفنية فى الربيع الثامن عشر من عمره وبزغ نجمه فى سماء الأدب بمسرحيته التى أخرجها يومذاك (جيترا) . وفى هذه الفترة كان تأثره بالـكاتب البنغالى ( شندراشتركي ) عظيما ، وعكف من بعد ذلك على دراسة الفلسفة الهندية ونقل بعض روائعها إلى الانكليزية بنفسه . ثم أسس جامعة ( سانتينكتان ) بمدينة بلبور بجوار كلـكتا . وقد قام طاغور برحلات لممالك مختلفة واجتمع بأكابر المفكرين المعاصرين ومشاهير القادة الوطنيين من انشتاين إلى فيصل الأول ملك العراق الذى دعاه لزيارة بلاد الرافدين فلبى النداء قبل نحو عشر سنين . وقد كان طاغور يغمر كل مجتمع يحل به بفيض من علمه وحكمته وسحره وفـكاهته وحسن محاضرته التى تستلب الألباب على ما يقول سامعوه . وقبل أن يشهد طاغور انتصار مبدأ الســلام الذى خصص له أدبه وافاه الأجل المحتوم فاستشهد فى ميدان الدفاع هـذا العام . وإذا فقدت الدنيا جسمه ففكره الجبار لن يغيب عن رعاية الناس ]

---

وأخيراً آن لهذا المطاف الطويل أن ينتهى إلى نهايته ويشرف على غايته . لقد مات طاغور وبموته استطاع أن يصل إلى الخلود الذى اشتاقه ومنى به نفسه ، وردد ذكره فى شعره ونثره ؛ والذى من أجله أحب هذه الحياة التى كانت الطريق إليه فسايرها مسايرة المحبة والصفاء ، لأنه عالم أن سير الركب به كان حثيثاً ، وأنه عما قريب واصل منزل الأبدية الخالد وإن تعطل فى هذه الدنيا الطريق أو تعترضه فيها الصعاب

لقد مات طاغور ، وليس بدعاً أن يموت طاغور ؛ ذلك لأنه كان من أبناء الـكون الأحياء ، وسنة الـكون أن يتدرج أبناؤه نحو الـكمال ، طوعاً كان ذلك أو كرهاً ؛ فهو مكتوب عليهم وهم لا بد سائرون إليه

أصبح طاغور اليوم اسماً مخلداً فى تاريخ الفكر البشرى يعرفه الناس — معرفتهم لسقراط وسبينوزا وبرجسون — من مؤلفاته التى تربو على الثلاثين مجلداً وقفها بأجمعها لنصرة الراية التى انضوى تحتها : راية المحبة ونشر السلام فى الأرض

ولو أنَ طاغور لم يقدر له أن يسبق عصره الذى جاء فيه بمئات السنين — إن لم نقل بألوفها — لرأى ساعة استشهد فى ذلك الميدان علائم الظفر وبشائر الفوز ورجحان الـكفة التى وقف نفسه للكفاح من أجلها كفاح يقين وإخلاص وثبات ؛ ولكن سبقه عصره بهذا الأمد الطويل الذى تحتاجه البشرية للتخفيف من غلوائها فى محبة القوة والدعوة للهدم أشق طاغور كثيراً وآلم نفسه وأرمضها ، ولكنه عجز عن أن يزعزع يقينها الثابت بالنصر آخر الأمر . وإن ما نرى من استبشاره وحبه للحياة ، وتغنيه بمـا فيها من جمال وسحر ، ودعوته إلى عبادة ذلك الجمال وقوله : « إفسحوا لى مجال العيش فى نور الشمس فى هذه الروضة الزاهرة بين القلوب النابضة »[١] ، إنما كان مصدره ذلك اليقين وذلك اليقين وحده

لو أن طاغور كتب له أن يعيش فى المجتمع المثالى الذى كان يريد بناء مجتمعنا وإصلاحه على نحوه ، ولم يقاس فى ذلك ألم خيبة الدعوة المبكرة لما اضطر إلى خطاب دعاة الحرب بقوله : « إن صح أن تكون الحقيقة الثابتة الأزلية الـكبرى هى شهوة التدمير والتخريب فقد كان لزاماً على هذه الحقيقة أن تعصف بذاتها فتميد بها وتحطمها شر تحطيم »[٢] وقوله أيضاً[٣] : « إنما تفضح قوة السلاح ضعف الإنسان » وإنما الذى أنطقه بهذا ، وشبهه كثير ، ما رأى من بعد الحقيقة المـادية عن المثالية التى حاول توجيه البشرية إليها قبل أوان ذلك بعصور وعصور

---

(١) من قصيدته « الحياة »
(٢) و (٣) من روايته « القربان »

عرف الناس طاغور لشيء واحد لم يُعرف فيلسوفٌ قبله لمثله : عرفه الناس لأنه شرقى هندى حاز جائزة نوبل وبذَّ مفكرى الدنيا بأسرها فى مضمار الدعوة للسلام ، وقد قرظه مجمع ( ستوكهولم ) الذى منحه تلك الجائزة بقوله : « إن شعره مثابة النفوس يشمل جميع خلجاتها ويعرب عن جميع مطامعها » .

ولقد كان طاغور أغنى الناس عن إشادة ( استوكهولم ) بفضله والتنويه به ، ذلك لأن حكمته السامية التى تمخضت حكمة الشرق العريقة وأجلتها ، ما كانت لتحتاج إلى مثل هذه المظاهر والأحكام لتبدو آثار محتها . وإذا كان لذلك المجمع من فضل ، فليس له على طاغور من ذلك شيء ، وإنما يده التى أسداها كانت للدنيا التى عرَّفها بفلسفة طاغور وأدبه الرفيع الممتاز ، فأقبلت عليه إقبالاً قوياً أحيا أملها بالفوز بالإخلاد إلى السلام ذات يوم ، وجدد قواها ، واستأنفت كبار العقول من أجل ذلك كفاحها ، لا يعوقها عنه بعد الغاية ولا طول الطريق

عرف الناس طاغور لهذا ، ولو عرفوه لغير هذا لكان أدلَّ على الحجا وأدنى إلى الحق والصواب ؛ وبسبب هذه المعرفة التى قدمتها ( ستوكهولم ) لهم ، جاء عرفانهم لفضل هذا الفيلسوف الجليل قاصراً ناقصاً ؛ فقد عرف أكثر الناس طاغور مفكراً وأديباً ، وجهلوه مربياً ، ومصوراً ، وموسيقياً ، وصاحب فكاهة حلوة ، ونادرة مُستطرَفة ؛ أو بكلمة أخرى جهلوه فيلسوفاً اتخذ مختلف تعابير الفنون الجميلة وسائل لهديه الناس والسعى وراء إصلاحهم

وإن الإحاطة بهذه النواحى من طاغور ، هى الإحاطة بفلسفته المثالية التى حاول رفع التفكير البشرى إلى مستواها ، فحسبها البشر إغراباً فى الخيال يخالف حقيقة حياتهم المادية التى يحيون والتى انغمسوا فيها واندفعوا فى تيارها مقهورين فيما يظنون وأنهم لمختارون . ولو شاء طاغور أن يكون مثل « نيتشه » لكان، ولداهن الواقع ، ونزل إلى سوية الناس وتطرف فى الدعوة إلى القوة ؛ ولكنه جاء إلى الدنيا برسالة تقول بالتطرف فى الدعوة إلى الحق ، فمن أجل هذا قام بينه وبين أهل عصره الخلاف ، فلم يفز فى إبان حياته بطائل مما رجا للناس من خير وسلام

ذلك من حيث كون طاغور مناراً فى طريق البشرية نحو الكمال . أما هو فى نفسه ، فعلى العكس مما أخرجته قصور أسرته البرهمية العريقة فى أرستقراطيتها : صوفى عظيم ، يألف التأمل وينعم به ، ولكن تأمله هذا لم يعنه من الاندماج فى الناس لأنه إنما كان يتأمل فى خيرهم وصلاحهم ، ولأن سميه إنما كان فى توحيدهم برغم إجماعهم على التنابذ والتخالف ؛ وقد كانت نظرته إليهم نظرة متأثرة بفلسفة ( الحلول ) التى اشتهرت بها الهند ، فجمعتهم روح الإله الأكبر ، وظهرت أمامهم فى مظاهر الكون الفسيح كافة لتستهويهم وتأسرهم بجمالها ، ولتكون فتنة عقولهم التى تأسرها لذة التأمل العميق

على أن هذه الفلسفة لم تقف مانعاً فى طريق طاغور ، ليتأمل تلك القدرة المبدعة الجبارة التى زانت الكون وغمرته بفيض من جمالها الذى يشمل النفس ، بل كانت الفلسفة ( الحلولية ) — على العكس من ذلك — طريقته التى استطاع أن يتلمس بها آثار تلك القوة القادرة المهيمنة الحكيمة التى أبدعت كل شيء صنعاً .

وإذا تأمل القارئُ هذه القصيدة التى نسوقها إليه الآن ، رأى مصداق هذا الكلام ، قال طاغور :

« كلا ، ليس لك أن تفتق البراعم فى شكل الأزاهير

« هز البرعم ما شئت ، أو اضربه ، فلن تقدر على جعله زهرة ، لأن ذلك فوق ما تستطيع

« إنك لتلوثه إذ تلمسه ، وإنك لتقطع وريقاته إرباً إرباً ثم تلقيها فى التراب

« غير أنه لا لون يظهر ولا عطر يفوح

« آه ... ذلك لأنه ليس لك أن تفتق البرعم زهرة

« وإن من فى استطاعته تفتيقه ، هو الذى أبدع صنعه ، فسواه بهذه البساطة واليسر

« إنه ليرمقه بنظرته ، فإذا بدم الحياة يتسرب فى تضاعيف عروقه ، ومن أنفاسه تفتح الزهرة أجنحتها لتخفق فى مهب الرياح

« ثم تنتشر فيها الألوان انتشار الأشواق فى القلوب ... ويفوح منها العطر لينمَّ فيها عن سر جميل

« إن من فى استطاعته تفتيق البرعم فى شكل زهرة هو الذى أبدع فسواه بهذه البساطة واليسر »[1]

(1) من كتابه « قطف الثمار Fruit gathering »

وأبدع مما تقدم قوله فى مقطوعة رمزية أخرى تظهر ما أحس به طاغور العظيم من بون شاسع يفصل دنيا الناس عن دنيا المثالية ، وكأنه بذلك كان يندد بفكرة البشر المادية ويحلق فى سموات تصوفه وتأملاته المثالية وذلك حيث يقول مخاطباً حبيبه :

« حينما اعتزمتُ على تصورك نُصُباً أقتطعه من حياتى لأقدمه إلى الرجال ليعبدوه ، جمعت — لذلك — ترابى ورغباتى وجميع أوهامى التى زانتها التهاويل ، وما عندى من أحلام »

« وعند ما سألتك أن تقيمى لحياتى نصباً تقدّ منه من قلبك جمعتِ نيرانك وقوتك إلى الحقيقة ، وضَمَمْتِ إلى ذلك كلّه المحبةَ والسلام[1] »

فانظر كيف رمز إلى المثل الأعلى فى المقطع الأخير ووشحه بغيره مما فى النفس الآدمية من دعوة للقوة والنار

لا نأمل فى هذه العجالة أن نحيط بآفاق طاغور الفلسفية المترامية أطرافها ، بل من ذا الذى منى نفسه بأن ينال من طاغور هذا المنال ؟ ولكنا نريد أن نلم به اليوم إلمامة الطارق العجلان ربما تتيسر زيارته الزيارة الطويلة ، زيارة المحب ليقضى شوقه من زيارة الحبيب ، وإذا لم يكن المجال يتسع لنا بأكثر من هذا ، فلنعطف النظر إلى ناحية أخرى عظيمة من نواحى طاغور العظيم

كان طاغور إلى ما نعم به من سمو تفكيره جنديًا من جنود الوطنية الهندية على نحو مبتكر جديد لم يكن قد سمعه من قبله الناس . كان طاغور يعشق الحرية عشقاً ظهرت آثاره فى مؤلفاته كلها ، والحر ليس يرضيه أن يقيم فردمن البشر فى قيد الإسار فضلاً عن رضائه على رؤية الملايين من أولئك البشر أسرى خاضعين ، ولهذا التنافر بين طبيعته الحرة وما أصيبت به الهند من عوادى الاستعمار برز طاغور فى ميدان الوطنية وبذ فيه غيره من المكافحين

كان طاغور يتعشق الحرية ويتعشق السلام فى آن واحد . والناس اليوم لا يستطيعون أن يسموا إلى الجمع بين هذين المبدأين ، ذلك لأن قلب الإنسان — وإن شئت فذهنه — لم يصل من الكبر والعظمة إلى الحد الذى يتسع فيه لهذين المبدأين فى الوقت ذاته . وإذا ما رأينا من إنكارهم لوطنية طاغور التى خَفِيَتْ عليهم فإنما مرجع ذلك هذا الاختلاف فى التفكير والاختلاف فى محبة المثل العليا والتأليف بينها . فقدر طاغور على ما لم يقدروا ، وجمع أكثر مما جمعوا ، وسما عليهم بهذا وبمعجزة أخرى هى سلامة تلك المثل العليا وعدم تنافرها فى نفسه بل كانت جميعاً عنده تسير فى وفاق والتئام

دعا طاغور إلى الحرية ، ودعا إلى تحرير البشر من إسار أقويائهم ، ولكنها كانت دعوة موجهة إلى جهة الإيجاب البانية لا إلى جهة السلب المدمرة ، وهو فى هذا يختلف عن زعماء الوطنية الآخرين الداعين بتطارف إلى الجانب المضاد لصفة طاغور السهلة الجميلة . وليس بدعاً أن يدعو هذا المفكر الجبار لهذه الدعوة ، إذ بها وحدها كان يضمن التوفيق بين عقيدتيه اللتين تنافرتا من اجتماعهما عند غيره من الناس ، عقيدة الحرية والوطنية وعقيدة تسوية السلام والمحبة بين الناس

إذا شئت أمثلة من وطنية طاغور فاسترجع فى ذهنك الضجة التى أحدثتها منذ أمد قريب جداً إحدى الكاتبات الإنكليزيات إذ اتهمته — خلافاً لعقائده — بالدعوة السلبية التى لم تؤثر عنه منذ خلق حتى انتقل إلى عالم الخلود . وإذا شئت مثلاً آخر فاذكر أيضاً خطابه الذى وجهه إلى إخوانه الهنود المقيمين فى اليابان إذ أرسلوا يسألونه أن يؤيد اليابان بكلمة من عنده فى حرب استيلائها على الصين الحرة لكى يكفكف من عدوان اليابانيين على النزلاء الهنود فكان جوابه متضمناً هذا المعنى : « لخير لى أن أرى الهنود من أبناء جلدتى يروحون ضحية للجهاد من أن أنتصر باسم الهند للجور والطغيان »

وإليك مثلاً آخر من وطنيته حين نبذ أوسمة الشرف وألقابه التى قدمتها إليه الحكومة البريطانية وذلك حين استشعر منها الإجحاف والظلم فى معاملة الهنود ، وأبى أن يحمل من بعد ذلك اليوم لقب ( سير ) ولم يجدد وضعه على طبعات مؤلفاته الجديدة ونفر منه نفرة كانت تغضبه وتؤلمه إذا دعى بها

عالج طاغور فيما عالج من مشكلات الهند مشكلتين عظيمتين : أولاهما مشكلة « المنبوذين » التى أقدم على علاجها علاجاً عملياً غير مكتف بما كتب عنها ، وكسر جميع أغلال أسرته البرهمية العريقة ، وذلك لأنه كان فى أعماله أشبه بالمفكر الخالد الحكيم سقراط ينحو نحو تطبيق الفضيلة على نفسه بعد معرفتها ثم يدعو النـاس بعد تلك المعرفة وذلك التطبيق إلى أخذ أنفسهم بها

(١) المصدر عينه

والعمل بمقتضاها . وقد أقام طاغور للمنبوذين من ماله الخاص المدارس وأنشأ لهم منشآت الثقافة التي كان أعظمها وأجلها أثراً مدرسته النموذجية التي مر ذكرها آنفاً والتي أصبحت جامعة مثالية يأمها أساتذة الجامعات ليتخرجوا فيها على طاغور تلاميذ مشربين بروح محبته للخير والسلام . وإنه ليروى أنه أنفق الجائزة المالية التي قدمها له مجمع (استكهلم) سنة ١٩١٣ في سبيل هؤلاء المنبوذين بعد أن أنفق في ذلك كل ما آل إليه من ثروة موروثة ومال مكتسب

أما الناحية الأخرى التي عالجها من مشكلات الهند فكانت مشكلة المرأة الهندية التي كانت عند ما فتح طاغور عينيه للدنيا ليراها في مستوى المنبوذين هؤلاء أو أرفع قليلاً . ومن أجل تلك المخلوقة المهيض جناحها التي ظلمها تعسف الرجل مئات السنين في الهند وقف قسطاً من جهاده ، وأكرمها في شخص زوجته وابنته ، وجعلها ملاكا كريماً يرفرف بجناحيه على البيت ليكون فيه ظل المحبة الشاملة والسلام الذي ينتظم البيوت .

وما من مسرحية له أو قصة أو أقصوصة أو رواية أو شعر إلا كانت المرأة فيه العنصر السامي الذي يخفف الحدة ، ويلطف الشدة ، ويعزج بالشر الذي يندس بين الناس ليفنيهم إكسيراً مضاداً له يكافحه ويقف آثار فعله لتنحصر في زاوية ضيقة بدل أن يمتد ويفور

المرأة في نظر طاغور مخلوق جمل لتزيين الحياة ، يخفف آلامها ، ويكثر من مسراتها ، ويطبعها بطابع البهجة الذي يحلو للرجل النظر إليه ؛ ذلك ما دامت امرأة ، فإما اعتلت أريكة الأمومة فهنالك الكمال في السمو إلى حقيقة الحقائق حقيقة المحبة التي يفيض بها قلبها أو فكرها على الناس أجمعين

ولا يستغرب القارىء هذا القول لأن دعمه بالبرهان سهل ، فالرجوع إلى كتابه الذي أتممنا نقله إلى العربية ونشرناه كاملاً في أجزاء مجلة وزارة المعارف العراقية ( المعلم الجديد ) ، ذلك الكتاب الذي أسماه الهلال ( The Crescent Moon ) يؤيد هذه الدعوة ويصور الأم للقارىء بشراً سوياً لا تبلغ المحبة في قلب في الكون مبلغها عند أحد سواه

***

أما بعد ، فهذه كلمة موجزة عن طاغور نرجو أن تعقبها لنا عنه دراسات مستفيضة تعرفه إلى الشباب ، لأن طاغور من الشخصيات الفذة التي يتعب المؤرخ الاهتداء إلى أمثالها في الدنيا . وتفكير طاغور العميق الهادىء ، وتصوفه الروحي البعيد عن المظاهر ، ونظرات تأمله التي شملت كل ما في الكون من أسرار وجمال جعلت منه دائرة معارف شرقية حديثة ، ولكنها تمت إلى القديم بأوثق الأسباب . وهل كان لعمري ثمة شيء لا يحسنه طاغور ؟ ومن أجل هذه السمة في المعرفة يومي الذين شغفوا بطاغور حباً بدرسه دراسة تأمل وإنعام نظر وفهم دقيق ، لأن في دائرة المعارف الشرقية هذه غذاء روحياً لذيذاً ، ولكنه دسم لا يهضمه كل إنسان

إن طاغور لم يمت ، لأن حكمته الرفيعة وفلسفته وتصوفه وأدبه الذي يحيط من وراء ذلك كله خالد تخجل يد الفناء أن تمتد إليه بعبث أو تخريب . ولئن تعرف الإنسانية قدر طاغور اليوم ، وإنما ستعرفه الإنسانية بعد مئات طويلة من السنين حين تخرج من سن الطيش إلى طور العقل والحصافة والتفكير الهادىء العميق .

فخري شهاب

# الفقر مسألة اجتماعية

للأستاذ رمسيس يونان

[ تتمة ما نشر في العدد الماضي ]

وهذا مثل ثان من تناقض المصالح بين الطبقة الغنية المعتمدة على الزراعة ، والطبقة الغنية المتصلة بالصناعة . فطبقة ملاك الأرض تزداد ثروتها كلما رخصت الأيدي العاملة في الزراعة ، وهم الأغلبية الساحقة من الشعب المصري ؛ أما رجال الصناعة فإن دخلهم يزداد كلما زادت قدرة هذه الأغلبية على الاستهلاك ، أي كلما ارتفع مستوى معيشتها

وعلى ذلك ليس عجيباً أن نرى أن معظم السياسيين المصريين الداعين إلى الإصلاح الاجتماعي ؛ أمثال : حافظ عفيفي ، على الشمسي ، وهيب دوس ، هم ممن اتصلت حياتهم عن قرب أو عن بعد بالصناعة ، أو ممن تأثروا تأثراً كبيراً بالحياة الاجتماعية في الغرب التي هي نتيجة وسط صناعي . وليس عجيباً أيضاً أن نرى رجلاً مثل إسماعيل صدقي ينادي بمكافحة الفقر ورفع مستوى حياة الفلاح . . .

وهناك عوامل ثانوية أخرى تدفع المولين إلى التفكير في الإصلاح : منها أن الأبحاث الطبية تثبت إثباتاً قاطعاً أن الأمراض تنهك العامل والفلاح وتضعف قدرتهما على الإنتاج إلى حد مخيف . وعلى ذلك فبين المولين من يرى أن مكافحة هذه الأمراض قد يؤدي إلى زيادة في الربح تعادل على الأقل ما يحتاجون إلى بذله في سبيل هذه المكافحة . . .

ومن هذه العوامل أيضاً الرغبة النامية في إنشاء جيش قوي سليم يشعر أرباب الثروة المصرية بضرورته للاحتفاظ باستقلال سياسي يضمن لهم استقلالهم الاقتصادي

على أن رجال الصناعة في مصر والمتكلمين باسمهم لا يدعون إلى الإصلاح الاجتماعي إلا في حدود ضيقة . . . ذلك لأن الدعوة إلى تحسين حال الفلاح تؤدي حتماً إلى تحميس الحركة العمالية المطالبة برفع الأجور . وليس هذا مما يرتاح إليه المولون وأرباب الأعمال . . .

* * *

ومع أن معظم العمال المصريين قد جاءوا من الريف ، وبالرغم من حداثة عهدهم بالوسط الصناعي ، فلا شك في أنهم قد اكتسبوا أساليب في التفكير المعاشي تختلف عن أساليب إخوانهم الفلاحين . ولسنا الآن بصدد بحث العوامل المادية التي سببت هذا الاختلاف ، وإنما يهمنا بعض ظواهره الواضحة

وأوضح هذه الظواهر أن العمال قد تجمعوا في نقابات يسعون عن طريقها إلى تحسين أحوالهم ، وتشغيل العاطلين منهم ، وتنظيم الإضرابات والمظاهرات وإصدار الاحتجاجات عند ما يزداد ضغط أرباب الأعمال عليهم . ولم نسمع بعد — بالرغم من مجهودات بعض الأفراد طيبي القلوب — عن هيئة من الفلاحين تسعى إلى شيء من هذا

ولا شك أن هذه النقابات قد أفادت العمال في كثير من الظروف ، وزادت بينهم ما يسمى « الوعي الطبقي » ؛ وإذا كان هذا الوعي الطبقي لم يصل بهم بعد إلى درجة النجاح في تكوين حزب عمال مستقل ، فقد كان كافياً على الأقل إلى أن يقنع بعض الأحزاب السياسية الموجودة أن من مصلحتها التقرب بين العمال ورعاية نقاباتهم والتودد إليهم بالوعود . . .

ومع ذلك فما زالت الحركة النقابية في مصر ضعيفة ، وذلك لسببين :

السبب الأول يتصل بالحركة العمالية ذاتها التي لم تنجح بعد في تحقيق « التضامن الطبقي » الكامل بين العمال ، كما لم تنجح بعد في إثارة حركة مشابهة بين الفلاحين ، لا شك أنها إذا قامت واتحدت مع الحركة العمالية ، أصبح لمجموع الأيدي العاملة في مصر قدرة رائعة على الكفاح الاقتصادي الناجح . . .

أما السبب الثاني لضعف الحركة النقابية فيرجع إلى المقاومة الجبارة المنظمة التي تواجهها بها الطبقة التي تخاف على مصالحها

من نحو هذه الحركة ، والتي منها من لا يتحرج أحياناً عن اللجوء إلى أحط الوسائل لإفساد أخلاق بعض زعماء العمال ، وتأليب بعضهم على بعض . ولهذه الطبقة سلطان مادى يضمن لها نفوذاً كافياً على التشريع والصحافة . وليس أدل على هذا النفوذ من أن مشروع قانون النقابات ما زال من سنوات يتأرجح بين قاعتى مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، وما زال يؤجل الدورة بعد الدورة ... هذا بالرغم من أن هذا القانون يكاد يحرّم على العمال كل وسيلة من وسائل الكفاح الجدى

* * *

ولسنا نستطيع الحديث عن مسألة الفقر فى مصر بغير أن نذكر مشكلة المتعلمين العاطلين . وقد يبدو عجيباً أن تظهر مثل هذه المشكلة فى بلد لا تزيد فيه نسبة المتعلمين على ١٠ ٪ بينما لم تظهر هذه المشكلة فى معظم الأمم الغربية إلا بعد أن عمّ فيها التعليم . ولكن تعليل ذلك غير عسير ؛ فإن انتشار التعليم فى الغرب — كما هو الحال فى مصر — كان ملازماً للنهضة الصناعية ، وقد وجدت الصناعة الغربية أسواقاً ضخمة بين الشعوب الآسيوية والإفريقية فنشطت واتسعت واستطاعت أن تستوعب القدر الأكبر من خريجى المدارس ؛ بينما جاءت الصناعة إلى مصر بعد أن اكتظت الأسواق الخارجية بالمصنوعات الغربية ، فلم يبق أمامها غير السوق المحلية ، وهى سوق فى غاية الضعف كما قلنا بالنسبة للفقر الشنيع الذى تعيش فيه أغلبية الشعب ، ونتيجة هذا أن الصناعة (وما يتبع الصناعة من أعمال تجارية ومرافق عمرانية ) لا تنمو فى مصر إلا فى بطء هو أشد من البطء الذى ينتشر معه التعليم

وعلى ذلك فنحن نرى أن السبب العميق لظاهرة المتعلمين العاطلين بالنسبة لمصر هو هذا الفقر الساحق الذى تعيش فيه غالبية الشعب

ولسنا من المدافعين عن مناهج التعليم فى مصر ؛ ولكننا لا نرى فى عيوب هذا التعليم السبب الأساسى فى عدم اشتغال الشبان المتعلمين بالأعمال الحرة . فالواقع المشاهد أن هؤلاء الشبان لا يترددون عن الاشتغال بأى عمل منتج ؛ وقد رأينا من حملة الشهادات من يبيع أوراق النيصب فى الشوارع ، ولكن الأعمال الحرة فى مصر — بحالتها الاقتصادية الراهنة — مكتظة بالمشتغلين بها ، وشوارع المدن الآن ليس فيها مكان لحانوت جديد ، ولن يتسع المجال أمام الأعمال الحرة إلا إذا اتسعت الحركة العمرانية ، أى إلا إذا نفذت وسائل الحياة الحديثة إلى الريف ونشأت فيه مدن جديدة ، وهذا كله موكول بالتقدم الصناعى وارتفاع مستوى المعيشة بين الفلاحين والعمال

* * *

ويهمنا الآن أن ننبه إلى الصلات الاقتصادية التى تربط مشاكل الفلاحين ، ومشاكل العمال ، ومشاكل العاطلين من عمال ومتعلمين . فمن فائدة العمال أن ترتفع أجور الفلاحين حتى تروج تجارة المصنوعات وتزداد حاجة أصحاب المصانع إلى العمال فترتفع أجورهم . ومما يؤذى العمال المشتغلين أن يوجد إلى جانبهم عمال متعطلون ؛ لأن الخوف من البطالة يضطر العمال إلى قبول ما يعرضه أصحاب المصانع من أجور مهما انحطت . وما يقال عن العمال يقال عن المتعلمين العاطلين وعن صغار الموظفين ؛ فالمصانع محتاج إلى خريجى المدارس كما تحتاج إلى عمال ؛ والتقدم فى الإنتاج الصناعى يفتح الأبواب للكثير من الأعمال الحرة أمام المتعلمين ، ووجود عدد كبير من المتعلمين العاطلين يخيف المستخدمين فى المصارف والمتاجر وغيرها ويضطرهم إلى الإذعان لاستبداد الرؤساء وإلى القناعة بالدون من المرتبات

وإذا كانت مصالح الفلاحين والعمال وصغار المستخدمين والعاطلين من متعلمين وعمال مترابطة كما نرى من هذا التحليل ، فما يؤسف له أنه لم يظهر حتى الآن اتجاه نحو توحيد الصفوف بين هذه الطبقات . فما زال العمال بعيدين عن التفكير فى حال الفلاحين ؛ وما زال صغار المستخدمين بعيدين عن الاهتمام بالحركة العمالية ، بل ما زال المتعلمون العاطلون أفراداً منعزلين لا تربطهم هيئة منظمة ، وما زال طلبة المدارس الوشكون على التخرج منصرفين عن دراسة المشاكل الاقتصادية التى تهدد مستقبلهم

ونحن نعلم أن قلوب المتعلمين والعمال العاطلين طافحة بالسخط والحقد، وأن بين العمال نفوساً متوثبة تطلب الجهاد، وأن بين شباب الجامعة عدداً كبيراً من الثائرين الناقمين على الأوضاع الحاضرة ؛ ولكن هذا السخط والحقد والتوثب ، وهذه الثورة والنقمة لن

تنجح فى مكافحة الفقر والتعطل إلا إذا انتظمت فى جهاد يقوم على خطط مدبرة محكمة

ونحن نعلم أن هناك عقبات كثيرة تقوم دون ظهور حركة منظمة بين الفلاحين ؛ ولكن ظهور هذه الحركة (وقد ظهر مثلها بين فلاحى الهند) غير مستحيل إذا تضافرت جهود الشباب المتعلم والعمال مع الفلاحين فى هذا الكفاح .

والطبقات التى تؤذيها الأوضاع الاقتصادية الحاضرة تكوّن الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى ؛ وما دمنا نعيش فى نظام ديمقراطى ، فإن من الممكن لهذه الأغلبية - إذا وحدت صفوفها - أن يصبح لها يوماً حزب سياسى مستقل قوى يعمل على تحقيق مصالحها

***

فسألة الفقر فى مصر لن تحل بجهود منعزلة يقوم بها أفراد لا يفكرون إلا داخل حدود حياتهم الضيقة ؛ فقد ينجح فلاح صغير - لظروف شاذة - فى أن يصبح مالكاً صغيراً ، وقد ينجح عامل فى أن يستولى على مصنع حقير ، وقد ينجح بعض المتعلمين العاطلين فى الحصول على عمل مكان آخرين مطرودين... ولكن هذا كله لن يغير شيئاً فى حال ستة ملايين فلاح ومليونى عامل وعشرات الآلاف من المتعلمين العاطلين . . .

ولن ينجح أفراد فى تغيير أوضاع اقتصادية تقوم على حمايتها سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية منظمة .

ولا تحل مشكلة الفقر بسياسة الإحسان ؛ فلن تنجح هذه السياسة - إذا نجحت - إلا فى تحويل الشعب المصرى إلى أمة من الشحاذين المستكينين الصاغرين ... يقبّلون أيدى الأغنياء ويدعون بطول العمر للمستفيدين الرابحين من بقاء الأوضاع الاقتصادية الحاضرة ...

ولا تحل مشكلة الفقر بالبحث عما يسميه الأستاذ العقاد « حقائق جامحة » و « حقائق كابحة » ؛ فأغلب الظن أن هذه الحقائق عند العقاد ليست إلا انعكاساً من موقف التردد عند الطبقة البورجوازية المصرية ، التى ترى ضرورة الإصلاح، ولكنها تخاف فى نفس الوقت من كل دعوة إلى إصلاح عميق ... وهو موقف تشترك فيه البورجوازية المصرية مع البورجوازية الغربية ، ونرى صداه فى تفكير الكثيرين من الكتاب الغربيين المعاصرين الذين يقرأ لهم العقاد

وإنما تحل مشكلة الفقر بجهاد مشترك منظم يساير نهضة البلاد ويتمشى مع قوانينها وتقاليدها . والله الهادى إلى أقوم طريق .

رمسيس يونان

# ٧ – مدن الحضارات
## في القديم والحديث
للأستاذ محمد عبد الغني حسن

أما الآية الكبرى الباقية في قرطبة شاهداً على ما كان للعرب فيها من عمارة وهندسة فهي الجامع الكبير أو المسجد الجامع الذي بناه عبد الرحمن الداخل في موضع كنيسة للنصارى عوضهم عنها أرضاً واسعة ومالاً كثيراً . وطراز هذا المسجد على غرار المسجد النبوي الذي بناه الوليد بن عبد الملك بالمدينة المنورة .

وقد وصفه « لابورد » في كتابه « صفة أسبانيا » وذكر أن طوله ٦٢٠ قدماً وعرضه ٤٤٠ قدماً . ونقل دوزي عن لابورد هذا الوصف . أما المستشرق بروفنسال صاحب كتاب « إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر » فقد ذكر أن طوله ١٨٠ متراً وعرضه ١٣٠ متراً

وفي كتاب الحلل السندسية للأمير شكيب وصف مفصل لهذا المسجد(١) ، كما أفاض الوصف فيه البتانوني صاحب رحلة الأندلس

وتمتاز كتابات الأمير الجليل بالتحقيق والتدقيق والشرح والتفصيل والتعليق على كل مشهد والتحليل لكل حادثة ؛ فهو لا يكتفي بأبعاد المسجد التي ذكرها دوزي ولابورد والبارون شاك Schack ، ولكنه يسأل دليله في قرطبة المهندس هرناندز وأحد الموكلين بالجامع والقيام عليه ، فذكر له أن طول المسجد ١٧٥ متراً وعرضه ١٢٥ متراً وذلك قريب مما ذكره بروفنسال

وعلى كل حال لا تخلو الروايات التاريخية المختلفة من اختلاف بينها على سمة هذا المسجد وأبوابه ومحاريبه وسواريه وثرياته ونقوشه ورقومه وصناعات قبلته وفرجة محرابه وقسيه وعمده

وينقل صاحب نفح الطيب عن الإدريسي كلاماً في وصف هذا المسجد ، إلا أن النسختين الباريسية والاكسفوردية من كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للادريسي جاء فيهما ما يخالف ما رواه صاحب نفح الطيب . ولعل ذلك من أخطاء النسخ وعدم تحري الدقة في النقل ، وخاصة فيما يتعلق بذكر الأرقام والإحصاء ، وهذا مشاهد كثيراً لمن يكثر المطالعة في كتب الأدب والتاريخ

وأعجب ما في هذا المسجد مئذنته ، وقالوا لم يكن في مآذن المسلمين ما تعدلها(١) ، فبلغ طولها إلى مكان وقوف المؤذن ٥٤ ذراعاً ، وإلى أعلى الرمانة الأخيرة ٧٣ ذراعاً ، وعرضها في كل تربيع ١٨ ذراعاً

وقد حول نصارى أسبانيا هذا المسجد إلى كنيسة بعد أن دخلت الأندلس في حوزة الفرنجة . وما تزال النقوش العربية العجيبة الشبيهة بالمخرّم ( الدنتلا ) تزين وجهته(٢) وعلى الباب الكبير المصفح بالنحاس رسم القوم صلباناً بعد أن تم التحويل إلى كنيسة . وبقيت المئذنة على حالها ؛ إلا أن النواقيس أصبحت ترن فيها بعد الأذان والتكبير ، وما تزال الآيات القرآنية الكريمة مكتوبة في دائرة القبلة والمحراب بالخط الكوفي(٣)

أما القبة الضخمة التي كانت قائمة فوق المسجد على ٣٦٥ عموداً من المرمر ، فقد أزيلت وأزيل معها ١٦٣ عموداً كما أزيل بعض سقف المسجد المحلاة بالأطلية الجميلة والليقة الذهبية ؛ ونهب الفرنسيون في غارة نابليون الأول على أسبانيا أربعمائة مصباح من الفضة الخالصة(٤) . ولا ننس أن جميع خشب هذا المسجد من عيدان شجر الصنوبر الطرطوشي الذي تضرب به الأمثال في الصلابة والثبات(٥)

ويذكر الأدريسي أن بمسجد قرطبة مصحفاً يقال إنه عثماني . ويروي صاحب نفح الطيب الخبر عن الأدريسي ، ثم يرويه في العصر الحديث الأمير شكيب صاحب الحلل السندسية ، ويذكر أنه المصحف الذي خطه بيمينه عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيه نقط من دمه ، ولكن البتانوني يناقش هذه الرواية

(١) الحلل السندسية ج ١ ص ١٣٦

(١) تاريخ التمدن الاسلامي عن نفح الطيب
(٢) البتانوني
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر نفسه
(٥) الحلل السندسية

فى تحقيق علمى ، ويبنى عقلاً أن ينتقل مصحف عثمان الأصلى من المدينة إلى الأندلس[١]

وإذا ذكرت قرطبة ، ذكرت بجانبها (الزهراء) التى بناها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ، ولم يكتمل بناؤها إلا فى عهد ابنه الحكم ؛ وقد شرع الناصر فى بنائها على بعد أربعة أميال من قرطبة مرضاة لحظية له كان اسمها زهراء[٢]

ويروى المقرى عن ابن الفرضى أنه كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التى أجراها وجرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربى قرطبة فى المناهر الهندسة ، وعلى الحنايا المعقودة يجرى ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة إلى بركة عظيمة عليها أسد عظيم الصورة ، بديع الصنعة ، شديد الروعة ، لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك فى غابر الدهر ، يدخل الماء إلى جوف الأسد ويخرج من عجزه إلى تلك البركة فى منظر يعجب الناظر ويبهره ... فتسقى من هذا الماء الممجوج رياض القصر وجنانه على رحبها ، ويجوز الفضل من ذلك الماء إلى النهر

ويبدع الواصف لهذا القصر — سواء أكان المقرى أو ابن الفرضى — فى وصف سطحه الممرد المشرف على الروضة ووصف مرمره المسنون ، وذهبه المصون ، وعمده ونقوشه وبركه وحياضه وتماثيله . وكان يخصص لبحيرة الزهراء كل يوم أحمال وأوزان من اللحم والخبز المصنوع من الحمص الأسود غذاء لحيتانها وأسماكها ...

وهنا تمعن الرواية التاريخية إلى الإغراق فى المبالغة والمغالاة فى الإحصاء والأرقام مما لا حاجة بى إلى ذكره فى هذا المقام . وهى مبالغة تدل على شىء كثير من الحق ، وتصور لنا هذه القصور والدور فى صورة نستطيع أن نتخيلها لا بحقائقها ولكن بما أضفى عليها من تهويل وإغراق

وكان الرخام يجلب إلى الزهراء من قرطاجنة وأفريقية وتونس[٣] ، واشترك فى وضع الرخام ولصقه على بن جعفر الإسكندرانى . ولعله اجتلب من الإسكندرية خاصة لذلك

(١) رحلة الأندلس
(٢) نفح الطيب وتاريخ التمدن الاسلامى
(٣) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٦

وازدهرت « الزهراء » فى عصر الناصر ازدهاراً كاد يضيع من مكان قرطبة ومحاها . وشغل الناصر نفسه بالبناء والعمارة وإتقان القصور ، وزخرفة المصانع فى الزهراء حتى عطل شهود الجمعة ثلاث جمع متواليات ، مما جعل القاضى العادل والواعظ الناصح منذر بن سعيد يعرض بأمير المؤمنين مبتدئاً الخطبة بقوله تعالى : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) ومذكراً فيها بالدنيا الزائلة ، والحياة الفانية ، والدار الباقية والموت المفاجىء ، والقدر المواتى ، مما أبكى الناصر وأحنقه على منذر لشدة وعظه وغلظة تقريعه[١]

وكان منذر بن سعيد هذا يكثر تعنيف الخليفة الناصر على اهتمامه بالبناء إلى حد كاد ينسيه أمور دينه ، وشئون آخرته . ويروى المقرى عن الحجارى فى كتاب (المسهب فى أخبار المغرب) أن منذراً هذا دخل على الناصر يوماً وهو مكب على الاشتغال بالبنيان فوعظه ، فرد عليه الناصر قائلاً :

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان
أوما ترى الهرمين قد بقيا وكم ... ملك محاه حوادث الأزمان
إن البناء إذا تعاظم شأنه ... أضحى يدل على عظيم الشان

ولا يدرى الرواى إن كان هذا الشعر من نظم الناصر أم مما تمثل به فى هذا المقام

* * *

لقد شهدت قرطبة منذ الفتح العربى إلى أيام المنصور بن أبى عامر فى أواخر القرن الرابع الهجرى كثيراً من نواحى الجلال التاريخى ، فبقيت زهاء ثلاثة قرون تتمتع بحكم مستقر ، وملك وطيد وعمارة وبناء ، ويسر ورخاء ؛ إلى أن نكبت فى النصف الأول من القرن الخامس الهجري بالحوادث الجسام وخاصة فى زمن المستعين بالله سليمان وفى دولتيه اللتين مكثتا ست سنين وعشرة أشهر ، وهى تلك المدة التى يصفها ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة ناقلاً عن ابن حيان بقوله[٢] ، وكانت كلها شداداً نكدات ، صعاباً مشئومات ، كريهات المبدأ والفاتحة

(١) كتب الأدب ، ومطمح الأنفس مطبعة السعادة ص ٤٢ ، ونفح الطيب ج ١ ص ٢٦٦
(٢) الذخيرة لابن بسام القسم الأول ص ٢٥

قبيحات المنتهى والخاتمة، لم يعدم فيها حيف ولا فورق فيها خوف، ولا تم سرور، ولا فقد محذور، مع تغير السيرة، وخرق الهيبة، واشتمال الفتنة، واعتلاء المعصية، وظعن الأمن، وحلول المخافة

وشهدت قرطبة أيضاً الفتنة فى زمان المستظهر، وحبسته الشنيعة فى أتون الحمام حين قام الدائرة فى وجهه وزرقوه وهم يسبونه، فارتد على عقبه وترجل عن فرسه وتجرد من ثيابه حتى بقى فى قميصه واستخفى فى أتون الحمام ففقد شخصه[1]، ثم أخرج فى قميص مسود بحال قبيحة حيث قتل أمام ابن عمه المستكفى ...

وشهدت قرطبة فى سنة ٤١٤هـ ثورة[2] لتعويل أهلها على رد الأمر لبنى أمية الذين اغتصب سلطانهم بنو حمود، وبايعوا المستظهر الأموى الذى قتله حفيد الناصر وجلس على العرش باسم المستكفى بالله — وهو والد ولاده الشاعرة الأندلسية المشهورة — ثم قتل المستكفى وجاء بعده بعد فتن وحوادث — المعتمد بالله آخر ملوك بنى أمية بالأندلس

* * *

ظلت قرطبة منذ الفتح العربى مقصد أهل العلم وطلاب الأدب، يفدون إليها انتجاعاً للعلم أو طلباً للحكمة كما كانت بغداد والقاهرة فى المشرق. ويذكر القاضى صاعد الأندلسى أن ابن البغونش الطبيب الحكيم الأندلسى رحل من طليطلة إلى قرطبة لطلب العلم بها[3]

ولم لا تكون قرطبة مقصد العلماء والشداة من أهل الحكمة والمعرفة والنظر والفلسفة، وقد كان من أهلها الطبيب الفلكى الفيلسوف يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة، والرياضى الحكيم أبو القاسم مسلمة المعروف بالمرحيطى. وكان من تلاميذه ابن السمح وابن الصفار والزهراوى والكرمانى وابن خلدون (غير المؤرخ صاحب المقدمة). وكان ابن السمح السالف الذكر من أهل غرناطة، ثم وفد على المرحيطى فى قرطبة لأخذ الرياضة والحكمة عنه[1]

كما كان من أهلها الكرمانى أحد الراسخين فى علم العدد والهندسة، والذى قال عنه تلميذه ابن حيى المهندس الفلكى (أنه ما لقى أحداً يجاريه فى علم الهندسة ولا يشق غباره فى فك غامضها وتبين مشكلها واستيفاء أجزائها[2]

ومنهم الفيلسوف ابن رشد أبو الوليد الذى اشتغل بالرياضة والفلسفة والطب والتشريح وقال: (من اشتغل بعلم التشريح ازداد بالله إيماناً)، وترك من الكتب القيمة عدة صالحة تجد ذكرها فى ترجمته فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة

كما وفد على قرطبة من أهل المشرق أحمد بن يونس الحرانى وأخوه عمر وغيرهما

وكان ضياع قرطبة — فيما ضاع من الفردوس الإسلامى — سبباً فى إثارة شاعرية كثير من شعراء المراثى الهالك والدول كابن الأبار القضاعى صاحب كتاب التكملة الذى قتل قعصاً بالرماح سنة ٦٥٨ هـ وأحرقت أشلاؤه والذى يقول فى رثائه لمدينة بلنسية:

يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا ... للحادثات وأمسى جدها تعسا
فى كل شارقة إلمام بائقة ... يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة أجحاف نائبة ... تثنى الأمان حذاراً والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم ... ألا عقائلها المحجوبة الأنسا
وفى بلنسية منها (وقرطبة) ... ما يذهب النفس أو ما ينزف النفسا

وفى قرطبة يقول صالح بن شريف الرندى المعروف بأبى البقاء وهو خاتمة شعراء الأندلس وأدبائها:

وأين (قرطبة) دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شأن؟

والحق أنه يسأل حيث لا جواب ولا كلام؛ ولله سبحانه البقاء والدوام.

[الحديث موصول] محمد عبد الغنى حسن

(١) الذخيرة لابن بسام ص ٣٩
(٢) تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين لأشباخ الألمانى
(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٤٨

(١) المصدر نفسه
(٢) المصدر السابق ص ٤٠

# ٤ – المصريون المحدثون

## شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين
للأستاذ عدلي طاهر نور

وفي بعض المنازل توجد حجرة أخرى تسمى «مقعد» – كما مر بك في شكل ٤ – ترتفع عن الطابق الأرضي نحو ثماني أقدام أو عشر وتستعمل كالمنضرة، وهي ذات واجهة مكشوفة لها عقدان أو أكثر ودرابزون منخفض. كذلك يوجد في الطابق الأرضي مكان مربع يسمى «تختبوش» له واجهة مكشوفة يتوسطها عامود يحمل الجدران العليا، وأرضية هي ليوان مبلط عليه مقاعد خشبية طويلة يسمى الواحد منها «دكة» تصف على جانب واحد أو على جانبين أو على الجوانب الثلاثة. وكثيراً ما يرش الحوش أثناء الصيف بالماء حتى تصبح الغرف المحيطة به (أو على الأقل غرف الطابق الأرضي) لطيفة الحرارة. أما تأثيث الغرف فعلى الطريقة السابق وصفها



شكل ١٢ – (قاعة)

وبين الغرف العلوية الخاصة بالحريم يوجد غالباً غرفة تسمى «قاعة»، كما ترى أمامك في (شكل ١٢)، وهي عالية بصفة خاصة، ولها ليوانان، واحد على كل جانب، أحدهما أكبر من الآخر. وفي سطح هذه القاعة قسم يعلو الدرقاعة مرتفعاً عن بقية السقف على شكل قبة، يتدلى في وسطه مصباح صغير يسمى «مشراق» ذو جوانب من خشب المشربية

والدرقاعة هنا كثيراً ما تكون من غير فسقية؛ وغالباً تبلط على مثال المنضرة (المنظرة)، وعلى مثالها أيضاً يوجد في القاعة صفة جميلة ودواليب ذوات حشوات دقيقة الصنع، فضلاً عما في هذه الغرفة وفي غيرها من رفوف خشبية ضيقة تمتد على طول حائطين، أو على طول الحوائط الثلاثة التي تحد الليوان مرتفعة حوالي سبع أقدام أو أكثر عن الأرض فوق الدواليب تماماً. ويوضع فوق هذه الرفوف أوان زخرفية هي للزخرفة أكثر منها للاستعمال العام[1]. وكل الغرف تعلو إلى أربع عشرة قدماً أو أكثر، ولكن القاعة أكبرها وأعلاها، وهي تمد في المنازل العظيمة غرفة استقبال جليلة

وفي كثير من الغرف العلوية في بيوت الأغنياء يوجد فضلاً عن الشبابيك نوافذ أخرى من الزجاج الملون يمثل باقات من الزهر وطواويس ورسوما أخرى ذات زخرفة مرحة فاخرة، أو نماذج خيالية ذات أثر في النفس لطيف. وتلك النوافذ الملونة الزجاج يطلق عليها لفظ «قمرية»[2]، ارتفاعها يتراوح بين قدم ونصف وبين قدمين ونصف، وعرضها من قدم إلى قدمين؛ وهي تصف بطول القسم الأعلى من مشربية النوافذ البارزة، أو يعلو بعضها هذه المشربيات بحيث تكون مربعاً كبيراً، أو توضع في أي مكان في أعلى الجدران منفردة أو مزدوجة كل زوج بجانب الآخر. وهذه النوافذ الزجاجية تتكون من قطع صغيرة من الزجاج المختلف الألوان، المثبتة بالجص في إطار من الخشب. وكثيراً ما تزين حيطان بعض الغرف بصور غليظة المسجد الحرام، أو لقبر الرسول (صلعم)، أو لبعض الزهور، أو لموضوعات أخرى يصورها صناع الوطنيين المسلمين الذين يجهلون القواعد الأولى للرسم المنظري،

---

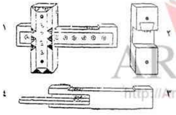
(١) في البيوت الكبيرة يوجد علاوة على القاعة الرئيسية الخاصة بالحريم مخدع مرتفع مخصص للمغنيات حتى يستترن من أنظار الرجال من العائلة أو من الزائرين (وفي الحالة الأخيرة تنسحب النساء) وستجد وصف هذا في فصل الموسيقى

(٢) هذه الكلمة مشتقة من «قمر» ويعتقد البارون هامر بورجستال Baron Hammer Purgstall أن أصلها من خومارو ج (أو كما يسميه العرب خمارويه)، وهو أحد أمراء بني طولون، وكان يحكم مصر في أواخر القرن التاسع من الميلاد، وهي في رأيه تثبت أن فن تلوين الزجاج كان مزدهراً في مصر في هذا العصر

فيشوهون هكذا ما يحاولون أن يزينوه . وفى أغلب الأحوال تعمل هذه الرسوم الملطخة إرضاء لذوق الأتراك الردئ . وقلما يوجد نظيرها فيما بنى على الطراز العربي الجيل ، وأحياناً تزين الحوائط بعبارات عربية من حكم وغيرها تكتب على ورق بخط جيل ، ثم توضع فى أطُرُر مجهزة بألواح زجاجيـة . وليست هناك غرفة خاصة تؤثث للنوم : فالسرير يطوى أثناء النهار ويوضع على جانب ، أو فى غرفة ملحقة تسمى « خزنة » تمـد للنوم فى الشتاء . وفى الصيف ينام الـكثيرون فى أعلى المنـازل . ويغطى الجزء المرتفع من الأرضية المبلطة بالحجر بحصير أو بساط ويوضع فوقها ديوان ، وهذا هو الأثاث الـكامل للغرفة .

وعند تناول الطعام يؤتى بصينية مستديرة توضع فوق كرسى منخفض ، ويجلس الآكلون حولها على الأرض . وليس هناك موقد[1] ؛ وإنما تدفأ الغرفة بفحم الحطب الذى يحرق فى مجاس . ولـكثير من المنازل عند القمة مسقط منحدر يسمى « ملقف »[2] ويكون غالباً من ألواح خشبية أو من خشب وقصب ، ويغطى فى الحالة الأخيرة بالجص ويبيَّـض من الداخل والخارج ، وفتحته تتجه نحو الشمال أو نحو الجنوب ليدخل النسيم البارد الذى يهب من هاتين الجهتـين إلى « فسحة » — غرفة مفتوحة — سفلى ، وهناك عادة فسحة قبل مدخل كل غرفة أو أكثر من الغرف الرئيسية ، فيها يجلس أفراد العائلة أو ينامون صيفاً ...

ويجهز كل باب بقفل خشبي يسمى « ضَبَّة » كما ترى فى ( شكل ١٣ ) ؛ ورقم ١ من هذا الشكل هو منظر أمامى للضبة والمزلاج مسحوب للوراء . أما الأرقام ٢ ، ٣ ، ٤ فهى مناظر خلفية لأجزاء القفل كل على حدته والمفتاح . وفى رأس الضبة مسامير صغيرة ( أربعة أو خمسة أو أكثر ) تسقط فى ثقوب مقابلة لها فى المزلاج المتحرك كما دفع إلى المهبج . وفى المفتاح أيضاً مسامير مطابقة لتلك الثقوب تدخل فيها فترفع المسامير الأولى وحينئذ يمكن سحب المزلاج للوراء فيفتح القفل . ويبلغ طول قفل باب الشارع أربع عشرة بوصة تقريباً . وأبواب الغرف والدواليب الخ . من سبع إلى تسع بوصات تقريباً . أما أبواب الحارات والمبانى العامة فأقفالها من النوع نفسه ، ولـكن طولها غالباً قدمان أو أكثر . وليس من الصعب فتح هذا القفل



شكل ١٣ — ( مزلاج خشبي )

ويلاحظ أن رسم أكثر المنازل يعوزه النظام . فالغرف مختلفة الارتفاع بحيث يجب على الإنسان أن يخطو عدة درجات عندما ينتقل من غرفة لأخرى ملحقة بهـا . وغاية المعارى الأولى هى جعل المنزل خاصاً بقدر الامكان ، وخصوصاً قسم الحريم ؛ فيشيد المنزل بحيث لا تطل النوافذ على غرف منازل أخرى . ويراعى المعارى غرضاً آخر فى بناء منازل الموسرين والعظماء وهو أن يجعل للمنزل باب سر[1] يستطيع السـاكن أن يهرب منه فى حالة الخطر ، أو يمكن العاشقين المرور منه . ومن الشائع أيضاً بناء مكان لإخفاء الـكنوز يسمى « مخبأ » يكون فى جانب من المنزل . وفى حريم المنازل الـكبيرة حمام يسخن على طريقة الحمامات العمومية

(١) إلا فى المطبخ حيث توجد عدة أوعية صغيرة لنار مبنية بالآجر . لهـذا ولأسباب أخرى ( من بينها اعتـدال عادات الشعب المتيسرة وانعدام الستائر فى الغرف وتشييد الأدوار بالخشب ثم تغطيته بالأحجار ) قلما تحدث حرائق فى القاهرة . ولـكن عندما يحدث مثل هذا الحادث يشب حريق هائل ، لأن هناك كمية كبيرة من الخشب الأبيض اليابس مستعملة فى بناء المنازل

(٢) انظر شكل رقم ٤

(١) وهذه العبارة تطلق أحياناً على الباب المؤدى إلى الحريم

وقد أشرت إلى طراز معمارى آخر على الطريقة التركية جرى عليه الأغنياء أخيراً فى بناء منازلهم وتلك المنازل لا تختلف كثيراً عن تلك التى سبق وصفها ما عدا النوافذ . فهى فى الغالب بوضع بعضها بجانب بعض تقريباً . وعند ما تشغل الحوانيت الجزء الأسفل من البناء فى شارع ما (كما هو الحال فى شوارع العاصمة الكبيرة ، وفى بعض الشوارع الصغيرة) يقسم البناء العلوى عادة إلى مساكن منفصلة يطلق عليها اسم «ربع» وتلك المساكن ينفصل بعضها عن بعض ، وكذلك عن الدكاكين تحتها ، تؤجر للعائلات التى لا تقوى على دفع إيجار منزل بأكمله . وكل مسكن فى الربع يحتوى على غرفة أو غرفتين للجلوس والنوم ، وعلى مطبخ ودورة مياه . ويندر أن يكون للمسكن مدخل من الشارع على حدته ، فليس هناك إلا مدخل واحد وسلم واحد لعدة مساكن . والغرف فى الربع تشبه غرف الدور الخاصة السابق وصفها . وهى لا تؤجر أبداً بفرشها . ومن النادر أن يسمح للأعزب أو للجارية بالسكن فى تلك الربوع أو فى أى مسكن خاص . ومثل هذا الشخص، مالم يكن يعيش مع أبويه أو مع أقاربه المقربين ، يضطر إلى السكن فى وكالة (خان) ؛ وهى بناء مخصص لاستقبال التجار وإيداع بضائعهم [1]

وفيما عدا العاصمة وبعض المدن الأخرى ، قلما توجد منازل كبيرة أو جميلة . أما مساكن الطبقات السفلى وخصوصاً طبقات الفلاحين فيبدو عليها الفقر المدقع . فأكثرها مبنى باللبن والطين وبعضها ليست إلا أكواخاً عادية . ومع ذلك فأغلبها يحوى غرفتين أو أكثر بالرغم من أن القليل منها يتألف من طابقين . ويوجد فى مساكن فلاحى الوجه البحرى ، فى غرفة ما ، « فرن » فى الطرف الأقصى من المدخل شاغلاً عرض الغرفة كلها ، وهو عبارة عن دكة من الطوب والطين لا يزيد ارتفاعها على صدر الإنسان ، وسقفها مقوس فى الداخل ومسطح عند القمة . ويندر أن يمتلك الفلاحون لحافاً يلتحفون به فى ليالى الشتاء ، فينامون كلهم على سطح الفرن بعد أن يوقدوا فيه ناراً، أو يتمتع بهذا الترف الزوج وزوجته ، بينما يفترش الأطفال الأرض . وفى الغرف فتحات صغيرة مرتفعة يدخل منها النور والهواء وتشبك أحياناً بقضبان خشبية . وتكون السقوف من جذوع النخل وتغطى بالجريد والسعف وسيقان الذرة ، وتكسى بطبقة من الطين والتبن . ولا يتعدى أثاث المنزل حصيرة أو حصيرتين للنوم ، وبعض أوعية من الفخار ، ورحاً لطحن الحبوب . ويلاحظ أن فى كثير من القرى أبراجاً للحمام كبيرة مربعة الشكل مع ميل خفيف فى جدرانها نحو الداخل (مثل كثير من مبانى قدماء المصريين) ، أو على شكل قالب سكر ، تبنى على أسطح الأكواخ باللبن والفواخير والطين . وأكثر قرى مصر يقع على أطلال مرتفعة بحيث لا تصل إليها مياه الفيضان . ويحيط بها أو تجاورها أشجار النخل . وهذه المرتفعات تتكون عادة من بقايا أكواخ سابقة أو مدينة قديمة ، ويبدو أنها تزيد بقدر ما يزيد مستوى الوادى من الرواسب وبقدر ما يزيد مجرى النهر

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) ومع ذلك فالفرنج الآن معافون من هذا المنع

ليالي القاهرة

# خائن !...

للدكتور إبرهيم ناجى

الأَيَالِي ! يَا مَا أَمَرَّ اللَّيَالِي !   غَيَّبَتْ وَجْهَكَ الجَمِيلَ الحَبِيبَا
أَنْتَ قَاسٍ مُعَذِّبٌ لَيْتَ أَنِّي   أَسْتَطِيعُ الهُجْرَانَ وَالتَّعْذِيبَا
إِنَّ حُبِّي إِلَيْكَ بِالصَّفْحِ سَبَّا   قٌ وَقَلْبِي إِلَيْكَ مَهْمَا أُصِيبَا
يَا حَبِيبِي كَانَ اللِّقَاءُ غَرِيبَاً   وَافْتَرَقْنَا فَبَاتَ كُلٌّ غَرِيبَا
غَيْرَ أَنِّي أَسْتَنْجِدُ الدَّمْعَ لَا أَلْ   قَى مَكَانَ الدُّمُوعِ إِلَّا لَهِيبَا
آهِ لَوْ تَرْجِعُ الدُّمُوعُ لِعَيْنِي   جَفَّ دَمْعِي فَلَسْتُ أَبْكِي حَبِيبَا
أَنْتَ مَنْ بَدَّلَ الوُجُودَ لِعَيْنِي   أَنْتَ صَيَّرْتَهُ جَمَالاً وَطِيبَا
أَنْتَ مَنْ بَدَّلَ السَّمَاءَ لِعَيْنِي   أَنْتَ صَيَّرْتَهَا ابْتِسَامًا رَحِيبَا
أَنْتَ يَا رِقَّةً تُذِيبُ القُلُوبَا   وَتُذِيبُ الصَّخْرَ الأَصَمَّ الصَّلِيبَا
غَيْرَ أَنِّي إِلَيْكَ جِئْتُ مِنَ اللَّيْ   لِ وَقَدْ حَانَ لِلدُّجَى أَنْ أَؤُوبَا

ابرهيم ناجى

# كنت أهـــواك

للأديب محمد قطب

كنت أهواكِ خاطراً فى شعورى   وخيـالاً يجول فى تفكيرى
كنت أهواك « فكرةً » ذات حسن   ورواء ، رفَّافةً فى ضمـيرى
كنت أهواك لا كحب الأناسىِّ   فما كنتِ غير روح طهور
كنتِ روحاً مرفرفاً فى خيالى   بجناحين من نقاء ونور
كنتِ معنًى مِنّى أراك بروحى   فى ثنايا عواطفى وشعورى
كنتِ معنى منى بأعماق حسّى   مشرقاً صافياً صفاء الزهور
كنتُ ألقاك حين أسمو بنفسى   عن دُنَى الناس لُطِّخت بالشرور
ولقد طالما هبطتُ إلى الأر   ض فأعليتِني لوادى النور
حيث نرتاده خِفافاً من القيـد   ونَنساب كانطلاق الطيور
حيث ننسى ضآلة الأرض إذ تجـ   ـمعنا وحدةُ الوجود الكبير
ونحس الحيـاة خلداً جميلاً   رائق الصفو كالسنى ، كالعبير

---

كان هذا متاع قلبي وفكري   كان فيه سعادتى وسرورى
ولقد كنتِ أنت معنى من السحر   طليقاً فى عالمى المسحور
كنت سراً أرتاده فى ضميرى   وضمير الحياة خلف الستور
فإذا ما لقيته طرت نشـوا   ن بهذا اللقاء جد فخور !

---

إنما اليوم أنت عقل وجسم   رابض جاثم بغـير طفور
أنت فى الأرض تثقلين انطلاقى   وتُمدِّينني كقيد الأسـير
وتريدين لى حيـاة ظلام   فى نظام محـدد مكرور
ما حياة الأجسام ؟ ما « واقع » الـ   ـعقل ؟ سوى عالم من الديجور

---

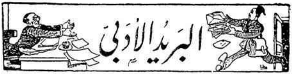
كنت أهواك حين كنتِ خيالاً   وانطلاقاً فى عالم مـذخور
كنت أهواك هل ترى كان هذا   ماضياً ؟ يا لشقوتى وكفورى !
كيف أحيا وأنت لست بدنيا   ى تضيئينها بنور غزير ؟
وتبثين فى فنونى حيـاة   وتمـدينها بخصب وفير ؟
سوف أهواك فكرة ذات حسن   ورواء ، رفافة فى ضمـيرى
سوف تبقين فى فؤادىَ ذكرى   لهوى مشرق وعهد نضـير

محمد قطب

# ثورة !...

للأديب عبد الرحمن الخميسى

مَاذَا تُرِيدُ الزَّعْزَعُ النَّكْبَاءُ   مِنْ رَاسِخٍ أَكْتَافُهُ شَمَّاءُ ؟
تَتَكَسَّرُ الأَحْدَاثُ تَحْتَ يَمِينِهِ   وَتَمِيدُ مِنْ صَرَخَاتِهِ الغَبْرَاءُ
وَيُمَزِّقُ الظُّلُمَاتِ عَنْ فَجْرٍ لَهُ   فِيـهِ حَيَاةٌ عَذْبَةٌ وَرَجَاءُ
وَيَدُكُّ بِالإِيمَانِ كُلَّ كَرِيهَـةٍ   وَتَمَلُّ مِنْ أَوْصَالِهِ الأَدْوَاءُ
وَيُشَارِفُ النَّجْمَ الرَّفِيعَ جَبِينُهُ   وَتَبُثُّهُ إِلْهَامَهَا الجَوْزَاءُ
وَيَبِيتُ يَنْفُثُ قَلْبَهُ فِي شَدْوِهِ   فَلِذَا تَهِيمُ بِصَوْغِهَا الشُّعَرَاءُ
فِي كَفِّهِ قَدَرٌ كَنِينٌ تَرْتَمِي   مِنْ حَوْلِهِ الأَهْوَالُ وَالأَرْزَاءُ




## من جديد

يقول الأستاذ الجليل ( ا . ع ) إن قول بعضهم : (من جديد) إنما هو تركيب غير عربي « مما جناه جهلة المترجمين ، وأن كتابنا وبلغاءنا قبلوه من غير تفكير ولا بحث فوشج بلغتنا »

ثم هو يدعم حجته بردّ هذا التعبير إلى اللفظة الإنجليزية : Anew

ولكني وجدت الحسن بن رشيق القيرواني (٣٩٠ـ٤٦٣هـ) قد أورد هذا التعبير في شعره ، إذ أثبت المترجم له في مقدمة كتابه — العمدة — قوله في إحدى قصائده :

قد أحكمتْ مني التجار    بُ كل شيء غير جودي
أبداً أقول : لئن كسبـ    ـتُ لأقبضنْ يديَّ شديد
حتى إذا أثريت عُد    تُ إلى السماحة من جديد

فيتضح من ذلك أن هـذا التعبير قديم الاستعمال ، أو هو — على الأقل — لا ينتمي إلى التعبير الإنجليزي الحديث في شيء

نعم إن ابن رشيق ممن لا يحتج بكلامه، ولكن ورود هذا التركيب في شعره مما ينفي عنه تهمة « الترجمة الخاطئة » ويميل بنا إلى الجزم بانتمائه إلى العربية الصحيحة ، فما رأى أستاذنا الجليل ( ا . ع ) في ذلك ؟

( جرجا )    محمود عزت عرفه

## ١ — فرية قتل الإمام الشافعي

نشر بعضهم كلمات في « جريدة الأهرام » يؤيدون فيها خبر أن الإمام الشافعي مات مقتولاً ، ورد بعضهم ذلك ، وإني مثبت هنا ما يستبين منه كذب هذا الخبر . قيل أن أشهب المالكي ضرب الشافعي فشجه فمرض حتى مات . وقيل إن الذي ضربه هو فتيان المالكي : أما نسبة ذلك إلى أشهب ففرية صريحة ، وإن ذكرها الشمس البرماوي من غير سند ، بل هـذا لا يصدر من عالم قطعاً ، على ما حققه العلامة ابن حجر العسقلاني في ( توالي التأسيس ) . وأما نسبتها إلى فتيان فإنك أيضاً . قال الحافظ بن حجر في كتابه المذكور : « لم أره من وجه يعتمد » ، وقال العلامة أبو عبد الله الراعي في كتابه ( إنتصار السالك ) « لم يصح ولم يرد من وجه يعتمد عليه »

وَعَلَى يَدَيْهِ مِنَ الصِّرَاعِ دِمَاءُ    وَبِنَاظِرَيْهِ تَمَرُّدٌ وَإِبَاءُ
وَبِأَصْغَرَيْهِ ثَوْرَةٌ هَوْجَاءُ    تَنْهَارُ فِي تَيَّارِهَا البُرَحَاءُ
الشَّوْكُ يَا كَمْ دَاسَهُ مُسْتَهْزِئًا    وَمَشَى تَزَمْجَرُ فَوْقَهُ الأَنْوَاءُ
وَالنَّارُ يَعْبُرُهَا فَتَسْكُنُ رُوحَهُ    أَكِنَّهَا فِي رُوحِهِ أَنْدَاءُ
وَالصَّعْبُ تَمْحَقُهُ خُطَاهُ وَلَا تَنِي    تَجْتَازُهُ مَا مَسَّهَا الإِعْيَاءُ

---

مَاذَا تُرِيدُ الزَّعْزَعُ النَّكْبَاءُ    مِنْ رَاسِخٍ أَكْتَافُهُ شَمَّاءُ
سَأَرُدُّهَا مَدْحُورَةً مَجْنُونَةً    تَعْوِي فَتَعْوِلُ حَوْلَهَا الأَجْوَاءُ
وَأَعِيشُ كَالْبُرْكَانِ أَقْذِفُ مِنْ فَمِي    حُمَمًا تَمُوتُ بِنَارِهَا الأَعْدَاءُ
وَأُحِبُّ نَفْسِي وَحْدَهَا فَهِيَ الَّتِي    لِلْحُبِّ فِيهَا حُرْمَةٌ وَفَضَاءُ
وَأَضُمُّ هَذَا الكَوْنَ لِي وَحْدِي فَفِي
ذَاتِي لَهُ تَسْبِيحَـــةٌ وَغِنَاءُ
هَذِي الحَيَاةُ جَمِيلَةٌ بِشُرُورِهَا    وَنَقَائِهَا مَعْشُوقَةٌ حَسْنَاءُ
وَلَقَدْ خُلِقْتُ لِكَيْ أَعِيشَ وَيَنْحَنِي
مِنْ حَوْلِيَ الإِصْبَاحُ وَالإِمْسَاءُ
أَسْتَقْبِلُ الفَجْرَ الوَدِيعَ مُغَرِّدًا    وَتَلُفُّنِي مِنْ آيِهِ الأَضْوَاءُ
وَأُوَدِّعُ اللَّيْلَ البَهِيمَ تُضِيءُ لِي    مِنْ حُجْرَتَيْهِ شُعْلَةٌ حَمْرَاءُ
وَأَكُونُ كَالإِعْصَارِ أَعْصِفُ بِالَّذِي
يَعْتَاقُنِي وَتَهَابُنِي الأَعْبَـــاءُ
فِي قَبْضَتِي قَبَسٌ يُنِيرُ مَسَالِكِي    نَحْوَ الرِّعَانِ وَغَايَتِي العَلْيَاءُ
تَتَجَدَّدُ الرَّغَبَاتُ فِي نَفْسِي كَمَا    تَتَجَدَّدُ الأَكْوَانُ وَالأَحْيَاءُ
أَنَا ذَلِكَ الجَبَّارُ لَا تَعْنُو لَهُ    إِلَّا المَصَائِبُ وَالمُنَى القَعْسَاءُ
البَابُ تَقْرَعُهُ رِيَاحٌ مُلِحَّةٌ !    مَاذَا تُرِيدُ الزَّعْزَعُ النَّكْبَاءُ

( القاهرة )    عبد الرحمن الخميسي

وفى الخبر نفسه ما ينقض عزو ذلك إليه ، لأنه عاش سنة كاملة بعد وفاة الشافعي ، ومات حتف أنفه سنة ٢٠٥ ، فلو كان قتله بمفتاح حديد — كما قيل — لما ولى الوالى (وهو السرى ابن الحكم) من الاقتصاص منه، لأنه كان قد عزره تعزيراً شديداً لما بلغه أنه سب الإمام الشافعي في مناظرة بينهما ، فكيف لو قتله ؟!

وإنما هى أفائك مكشوفة من دعاة الفتنة ، يعكرون بها صفو الإخاء بين المذاهب . ولم يقع من صميم رجال المذاهب ما يشين ناصع أعمالهم فى دور من أدوار التاريخ مطلقاً ؛ وإنما ذلك من المتطفلين البعيدين عن الفقه وأهله . ومرض الشافعى بالباسور الشديد متواتر الخبر بأسانيده فى (توالى التأسيس) وغيره .

٢ — جميل نخلة المدور

قال الأستاذ محمد عبد الغنى حسن (فى العدد ٤٢٦) : أما نسبة جيل نخلة المدور إلى العراق فهى شائعة عندنا فى مصر . والحق أنى لم أقرأ ترجمة لهذا الباحث العظيم

وفى (الأعلام للأستاذ الزركلى) ترجمة موجزة له نتعلل بها إلى أن يسمح الأستاذ البحاث كوركيس عواد بترجمة مبسوطة : جميل بن نخلة المدور (١٢٧٩ — ١٣٣٥ للهجرة) : متأدب ، من أهل بيروت ، وسكن مصر فتوفى فيها ، اشتهر بكتابيه (حضارة الإسلام فى دار السلام) و (تاريخ بابل وأشور) ، وكان الشيخ ابراهيم اليازجى يصحح له ما يكتبه . وفى أصحابهما من يرى أن (حضارة الإسلام) لليازجى ، وأنه نحله جميلاً فى أيام ادقاع الأول وإثراء الثانى .

أحمد صفوان

« تصويب » : وقع فى كلمتى فى العدد (٤٢٦) غلطتان مطبعيتان ، صوابهما : « المذل » و « البطليوسى »

تصويبات سريعة

عرض الأستاذ وجدى فى الجزء السابع من مجلة الأزهر لبعض كتب النبى صلى الله عليه وسلم والردود عليها واستهل مقاله بأنها كانت فى السنة السادسة من النبوة ، ثم شك فى ردود ثلاثة مستدرجاً فى شكه حتى أنكرها وسماها مفتريات ساذجة . وإحقاقاً للحق وإنصافاً للسيرة والتاريخ — نشير فى هذه العجالة إلى الصواب ؛ ونهيب بالأستاذ وهو رجل مسئول أن يعطى السيرة بعض عنايته واهتمامه حتى لا يورط القارئ فى مهاوى الشكوك بعد:

١ — الصواب أن إرسال الكتب كان فى السنة السادسة من الهجرة والتاسعة عشرة من النبوة

٢ — وأن هرقل والمقوقس كانا يعلمان من الكتب القديمة أن نبياً سيظهر . وموضوع التبشير بالنبى صلى الله عليه وسلم معروف مستفيض جاء به القرآن الكريم وغيره مما لا يدع مجالاً لشك الأستاذ ولا استبعاده . وإنما لم يذعنا له خوفاً على الملك والسلطان ، ولا عبرة بتصديق لا إذعان معه ولا إسلام

٣ — ثم حسبك دليلاً على إسلام النجاشى أصحمة أن النبى صلى الله عليه وسلم نعاه ، وصلى عليه صلاة الغائب ، وأنه أكرم المهاجرين إليه فى الهجرتين إكراماً ، وأنه زوج النبى صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان وأصدقها عنه أربعمائة دينار ، فكيف تنكر بعد هذا إسلامه وتستبعد رده بشبهة ظهور الصنعة فيه ؟ ولئن سلمنا هذه الصنعة أن الرد مترجم قطعاً . وللمترجم أن يتصرف فى الألفاظ ما شاء ما دام أميناً على المعنى حفيظاً عليه

هذه تصويبات خاطفة ومن ابتغى المزيد فليرجع إلى السيرة الحلبية ، وإلى كتاب الجنائز فى البخارى ، وإلى شرح المواهب اللدنية ص ٣٤٦ ج ٣ . وكفى بهن دليلاً

طه محمد الساكت

المدرس بمعهد القاهرة

إلى الدكتور زكى مبارك

الحسن والفضل منفوسان على أصحابهما . لهذا ما ترانى فى هذه الكلمة متصدياً للرأى الطريف الذى ارتأيت فى أحد « شجون الأحاديث » التى تحدث قراءك كل أسبوع فى الرسالة الغراء . إن للأفكار الحسان عشاقاً يحومون حولها كما يحوم حول الحسان من بنات حواء كل عاشق ولهان . فاسمح لى إذاً أن أحوم قليلاً حول ما ارتأيت من رأى فى حديث « ما علمتنى الأيام » .

ارتأيت ألا يبدى أحد رأياً فى مسائل الأخلاق والدين والاجتماع إلا مكتوباً ، فيأمن مغبة التزيد الشنيع الذى يتزيد بعض خساس الناس على الأحاديث ترسل إرسالاً فى المجالس والنوادى والمجتمعات . وذلك أن الكلمة المكتوبة ، خلافاً

للكلمة الملفوظة ، لا تقبل التزيد ولا التحريف المقصود ، أو غير المقصود ، وإن ركب أحد المعاندين المكابرين رأسه وحاول أن يزيد أو ينقص أو يحرف فيما كتبت ونشرت ، فأنت بما تملك من سلاح المنطق والرجوع إلى الحقائق والاحتكام إلى الرأى العام خليق أن ترده إلى محجة الصواب أو تلقمه حجراً إن كان لايسد فاه إلا حجر . ولا أنكر أن للرأى قوته وإغراءه وللنصيحة ما تستأهله من إصغاء تام ، لا سيما وهـذه الأيام هي الأيام التى تروج فيها سوق الرواة المتزيدين المحرفين المشنعين . ولـكن ، ولا بد من لكن هنا ، هل ينجو صيارفة الفكر وصاغة الكلام من مساوىء التشنيع والتزيد والتحريف لو اعتصموا بالصمت ولاذوا بالسكوت كما تنصح لهم أن يفعلوا يا دكتور ؟ ! أما أنت فقد أجبت جواب الموقن أنه ما على المرء لينجو من مساوىء التزيد والتحريف إلا أن يطبق شفتيه ويطلق قلمه ينقل إلى القارئين آراءه وأفكاره فلا تعبث بها الأهواء الخبيثة والذواكر العابثة . أما أنا ، وإنى على أشد اليقين مما أقول ، فلا أرى الاعتصام بالسكوت فى النوادى والمجالس الخاصة أو العامة منجياً من أذى التزيد والتشنيع لسبب واحـد بسيط يكاد لبساطته وشيوعه لا يخفى على أحد : فقد تنجح فى أن تروض نفسك على ألا تبـدى رأياً فى شؤون السياسة والدين والاجتماع إلا مكتوباً ، ولـكن ما حيلتك فى هذا النفر الذين لا يمنعهم أن يسمعوا رأيك خارجاً من شفتيك أو مدوناً فى صحيفة أو كتاب فيمضون يشيعون أنك قلت كيت وكيت وارتأيت زيت وزيت ؟

هذا شيء ، والشيء الآخر وجوب الكلام أننا قد نفيد فى عرض أفكارنا على غيرنا قبل إثباتها على الورق فائدة التمحيص لهذه الأفكار وإزالة الفضول ، فنعدل عن الفكرة الجائرة ، ونعدّل الفكرة الحائرة ونثبت على الفكرة الصائبة

وشيء ثالث أن كثيراً من المفكرين لا يجدون الوسيلة إلى التدوين ، إما لأنهم خطباء مرتجلون أو لأنهم لا يجدون الصحيفة تنشر لهم ما يرتأون ، فهل يصمت هؤلاء أو يتكلمون ؟ !

بناء على هـذه وبناء على أن الله خلق الحنجرة والشفتين واللسان قبل أن يخلق الورق والمداد والأقلام وحتى لا تصبح المجالس والنوادى ميادين تتبارى فيهـا فنون الملق والتدجيل والرياء أرى أن يتكلم كلٌّ ما أطاق لسانه وحنجرته الكلام ، ولـكن فى حدود اللياقة والمنطق والاحتشام

هذا ولما كان الحديث ذا شجون فقد استرعى انتباهى من شجون حديثك ما ارتأيت من أن الكفايات يجنى بعضها على بعض ، وهى قولة حق يحسُّ صدقها كل من عانى التعبير عن هواجس النفس وخوافى الحس بطريق غير الطريق الذى اعتاده ؛ ولكن هذا لا يعنى أن نخضع للأمر الواقع ونترك هذه الكفايات يبتلع بعضها بعضاً حتى لا تبقى إلا الكفاية الواحدة تستبد بصاحبها أبلغ الاستبداد ، ولا تدع له أن يقول قولاً أو يبدى رأياً أو يدون هاجسة من هواجسه إلا عن طريقها وبأسلوبها ، وقد يكون بين الكفايات المكبوتة ما هو أولى بالبروز وأخلق بالرعاية وأحق بالترويض من الكفاية التى زاحمت ما عداها من الكفايات فزحمتها وردتها ذليلة مقهورة . ثم يجب ألا يفوتنا أن الممارسة والمران كفيلان بأن يزيلا عن الكفاية المكبوتة ما قد يحسه صاحبها من العسر عند أول ما يحاول استغلالها . فالكفاية العالية المهملة كالجواد الكريم طال ارتباطه وحُرِم أن يسعى أو يجول فى طريق أو ميدان ، فيجد راكبه صعوبة فى تصريفه أول الأمر ، ولـكنه لا يلبث طويلاً حتى يعود إلى ما هو خليق بالعتق والأصل الكريم من التبريز فى غير عسر ولا عناء .

أديب عباسي



( طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين )